

جامعة الكوفة ـ كلية الآداب
قسم الفلسفة

الليبرالية والآخر في فكـــــر جون رولز دراسة تحليلية

رسالة قدّمتها إلى
مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

هاله صـــدقي ناصر الســاعدي

وهي جزء من متطلبّات نيل درجة الماجستير في الفلسفة
بإشراف

الأستاذ المســـاعد الدكتور جميل حليل نعمة المعلـــــــة

1432هـ 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

صدق الله العظيم

(البقرة:32)

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (الليبرالية والاخر في فكر جون رولز) والتي تقدمت بها الطالبه (هاله صدقي ناصر) قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب / جامعة الكوفة ، وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير فلسفة .

الإمضاء:

الاسم:ا.م.د.جميل حليل نعمة المعلة

التاريخ:

توصية رئيس القسم

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبيرين العلمي واللغوي، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

الإمضاء:

الأسم:ا.م.د.حمزة جابر سلطان الأسدي

التاريخ:

قرار لجنة المناقشة

استناداً الى محضر الكليـة بجلسته ....المنعقدة فـي .... بشـأن تشكيل لجنـة لمناقشة الرسالة الموسومة بـ (الليبرالية والاخر في فكر جون رولز) للطالبه (هالـه صدقي ناصر) .نقـر نحـن رئـيس لجنـة المناقشـة واعضـاؤها بأننـا اطلعنـا علـى الرسـالة .وقـد ناقشـنا الطالبـة بمحتوياتهـا،وفيمـا لـه علاقـة بهـا بتـاريخ .... فوجدناها جديرة بـالقبول لنيـل شـهادة الماجستير في الفلسفة بتقدير (   )

الإمضاء:	الإمضاء:
الاسم:	الاسم:
الدرجة العلمية:	الدرجة العلمية:
التاريخ:	التاريخ:
رئيس اللجنة	عضواً

الإمضاء:	الإمضاء:
الاسم:	الاسم:
الدرجة العلمية:	الدرجة العلمية:
التاريخ:	التاريخ:
عضواً	عضواً ومشرفاً

صادق مجلس كلية الاداب –جامعة الكوفة على قرار لجنة الناقشة .

الإمضاء:

اللقب العلمي والاسم:

عميد الكلية

التاريخ:

الإهداء

إلى من احبهم قلبي ... رمز المثابرة وعنوان التضحية...

الى والداي ... براً وإحساناً

إلى من خصوني بدعواتهم ... ذوي الأنفس الطيبة...

اخي وأخواتي ... حباً واحتراماً

إلى من يتربع في ثنايا القلب ... ينبوع المحبة والعطاء ...

زوجي ... وفاءا ً وتقديراً

إلى زهرة عمري ...وزينة الحياة ...

أبنتي ملك ... عطفاً وحناناً

إلى كل من يسره نجاحي... امتنانا ً واعتزازاً

أهدي هذا الجهد ...

الباحثة

شكر وتقدير

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والإمتنان للدكتور جميل حليل المعلة الذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة ، وكان لتوجيهاته العلمية والمنهجية الدور الكبير في انضاج هذه الرسالة بالصورة التي هي عليها الآن .

وأشكر الأستاذ الفاضل الدكتور نعمة محمد ابراهيم رئيس قسم الفلسفة سابقا" في كلية الاداب في جامعة الكوفة ، لجهوده التي بذلها من أجلنا في دراستنا الأولية ، وأشكر كل من درسني في جامعة الكوفة والجامعة المستنصرية .

وأشكر الأساتذة الأكـــارم في قسم الفلسفة لجهـودهم التي بذلوها من أجلنـــا في السنة التحضيرية ، إذ أستفدت منهم كثيراً وأنـــا مدينة لهم بذلك ، فمن علمني حرفاً صيرني له عبدا. وأشكر الأساتذة الاكارم في لجنة المناقشة سائلةً الله تعالى أن تنال استحسانهم .وأشكر العاملين في المكتبة المركزية الذين لم يبخلوا علينا بالمساعدة، خصوصاً في جامعة الكوفة وجامعة بغداد .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى رفيقاتي في الدراسة "رويدة جاسم ،بتول ايوب "على كل المساعدة التي قدمتاها الي، وخاصة (رويدة)حيث كانت حريصة على مساعدتي ولو بنور عينيها ...ولا انسى بالذكر الأستاذ(رائد) لأنه رفدني بكثير

من المصادر . **وأخيراً الى كل من أشار وأهتم وأسدى نصيحة أو أعان على تحمل الجهد والمضي بأصرار عميق شكري وامتناني.**

الباحثة

الفهرست

المحتويـــات

العنـــــوان	رقم الصفحة
الاهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الفهرست	ج
المقدمة	1
الفصل الاول :تأصيل والمفاهيم عند جون رولز	
المبحث الاول :التعرف على الليبرالية المطلب الاول: مفهوم الليبرالي	5
المطلـب الثـاني : الأسـس الفكريـة لليبراليـة (النشأة والتطور)	12
1-الليبرالية الكلاسيكية (القديمة)	15
2-الليبرالية المعاصرة (الجديدة)	17
المطلب الثالث : ميادين الليبرالية	29
1 -الليبرالية السياسية	29

2- الليبرالية الاقتصادية	31
3-الليبرالية الفكرية	33
المبحث الثاني : التعرف على الآخر المطلب الاول : مفهوم الآخر	36
المطلب الثاني : الآخر في الفكر الفلسفي	42
المبحث الثالث : جون رولز (سيرته وأثر عصره) المطلب الاول :سيرته الذاتية	46
المطلب الثاني : أعمال جون رولز	52
المطلب الثالث :أثر العصر على فكر رولز 1- الأثر السياسي	54
2- الأثر الاقتصادي	57
3- الأثر الثقافي	58
الفصل الأول :فلسفة العدالة عند رولز	
التمهيد	63
المبحث الأول :أفكار رولز في نظرية العدالة	67
المطلب الأول : المجتمع بوصفه نظاماً منصفاً من التعاون	67

المطلب الثاني : فكرة مجتمع حسن التنظيم	69
المطلب الثالث : فكرة البنية الاساسية	70
المطلب الرابع : فكرة الوضع الاصلي	71
المطلب الخامس : فكرة المواطنين المنخرطين في التعاون	72
المطلب السادس : فكرة التسويغ العام	76
المبحث الثاني : مبادئ العدالة و دورها	80
المطلب الأول : الوضع الاصلي وحجاب الجهالة	80
المطلب الثاني : تحديد مبدآ العدالة	87
المطلب الثالث :أنواع العدالة المقصودة عند رولز	90
المطلب الرابع : الفصل بين الحق والخير	92
المطلب الخامس : معنى الاستقرار عند رولز	94
المطلب السادس : فكرة العقل العام	95
الفصل الثالث : ماهية قانون الشعوب	
المبحث الأول : البنية الاساسية للقانون المطلب الأول: فكرة قانون الشعوب	102
المطلب الثاني : مبادئ القانون	106
المبحث الثاني : علاقات الشعوب المطلب الأول : أنواع الشعوب العالمية	110
المطلب الثاني : طبيعة العلاقة بين الشعوب	113

الليبرالية والآخر	
المبحث الثالث : الحرب في مفهوم رولز	117
الفصل الرابع : النقد الفلسفي والسياسي لفكر جون رولز	
المبحث الأول : آراء نقدية لفلسفة جون رولز	124
المبحث الثاني نقد يورغن هابرماس لجون رولز	133
الخاتمة والنتائج	145
المصادر والمراجع	152
الملخص باللغة الانكليزية	A

المقدمـة

الحمدُ لله رب العالمين الذي يُعطي القليل بالكثير ويعطي من سأله ومن لم يسأله تحنناً منه ورحمة. والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين .

يعد جون رولز أحد الوجوه البارزة المنخرطة في النقاش السياسي المحتدم حول مشروعية الليبرالية السياسية عن مستقبل الديمقراطية في العالم المعاصر ومآلات الحداثة السياسية وما

تخللها من أزمات وتوترات بين الحرية والمساواة، بين الفرد والدولة بين العدالة والخير،بين الاستقلالية والعمومية، بين الدائرة الخصوصية والفضاء العمومي.

ولعل " نظرية العدالة" لجون رولز من الأعمال النادرة التي توفر درسا جيدا للدارسين ولأرباب القلم علي السواء، فما أكثر ما عدل فيها صاحبها، وما أضخم ما كتب عنها الآخرون، وإنها لخبرة نتعلم فيها كيف نقرأ وكيف نبني الحجة وكيف ننتقدها . وكذلك مؤلفه الآخر وهو "قانون الشعوب "الذي فيه الكثير من الافكار التي حاولت بجهدي المتواضع ان نتناولها ومدى الاستفادة منها على ارض الواقع.

يعود اختياري لرولز إذن إلى كونه أحد الفلاسفة السياسيين القلائل الذين فتحوا نقاشا سياسيا واسعا في الولايات المتحدة الأمريكية بين الليبرالية اليسارية المناهضة للفوارق وما تمثله من مخاطر على التماسك الاجتماعي والتوافق السياسي، وبين النيوليبرالية (New liberalism)المناهضة للعدالة التوزيعية وما تمثله من مخاطر على الحريات الفردية.

وتمخضت هذه المناقشات والمُطَارَحَات السياسية(Debates politiques) عن إعادة التفكير في دور الدولة الليبرالية، وبرزت أسئلة حول حيادها (Neutrality) وانخراطها في المطالب الاجتماعية.

وعليه تناولت مواضيع الرسالة بالشكل الأتي : قسمت هذه الرسالة على أربعة فصول ،فقد عقد الفصل الأول لتأصيل للمصطلحات والمفاهيم عند جون رولز ، ويتكون هذا الفصل من ثلاثة مباحث ، الأول يتحدث عن مفهوم الليبرالية وأسسه وميادينه.والمبحث الثاني تناولت فيه مفهوم الآخر من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي ووروده في التفكير الفلسفي. أما المبحث الثالث فقد خصص للتعرف على جون رولز. أما الفصل الثاني الذي عنونته

بـ"فلسفة العدالة عند رولز" فيتكون من تمهيد عن العدالة الرولزية ،ومبحث أول حول أفكار رولز في نظرية العدالة وهو محاولة استقراء هذه الأفكار بشكل منهجي مدروس ،أما في المبحث الثاني وفيه تناولت مبادئ العدالة ودورها في رسم الصورة الرولزية للعدالة .أما الفصل الثالث ماهية قانون الشعوب ومكون من مبحث اول هو البنية الاساسية للقانون وفيه مطالب هي الاول فكرة قانون الشعوب ومطلب ثاني هو مبادئ هذا القانون .ومبحث ثاني حول العلاقات بين الشعوب من حيث انواعها في مطلب اول ، ومن حيث طبيعة هذه العلاقة في مطلب ثاني ،ومن ثم تطرق رولز الى مسألة السلم والحرب وقد جعلته في مبحث الثالث.

اما الفصل الرابع فقد عقد للنقد الموجه لمجمل فلسفة رولز من بعض الفلاسفة المعاصرين عموماً في مبحث أول ، ومن يورغن هابرماس خصوصاً في مبحث ثانٍ . ومن ثَم أنهيت هذه الرسالة إلى التوصيات التي تمخضت عنها .

ولا أريد أن ادّعي بان هذه الرسالة متكاملة الجوانب، وعرضت جانب فلسفة العدالة عند جون رولز عرضاً جامعاً مانعاً، بل أستطيع القول إن هذه الرسالة تمثّل نواة أولى في البحث عن شخصية هذا الفيلسوف والآراء التي تبناها، إذ يجد الباحث عند هذا الفيلسوف آراء جمّة تحتاج إلى البحث والتمحيص منها آراؤه حول فلسفة الأخلاق، ووجهات نظره التي ترتبط بالعدالة الإنسانية ...الخ. وأرجو في الوقت نفسه من السادة رئيس واعضاء لجنة المناقشة أن يُتحفوني بملاحظاتهم العلمية المنهجية التي من شأنها أن تزيد من رصانة الرسالة . راجية" من الله الموفقية والنجاح للباحثين جميعاً.

ولا يفوتني ان أتقدم بالشكر الجزيل للمناقشين الأفاضل وسعيهم البناء في مناقشة هذه الرسالة المتواضعة .والحمد لله ربّ العالمين.

الباحثة
هاله صدقي ناصر

الفصل الأول

الفصل الأول

تأصيل المصطلحات والمفاهيم عند

جون رولز

المبحث الاول:التعرف على الليبرالية

المبحث الثاني: التعرف على الآخر

المبحث الثالث: جون رولز (سيرته وأثر عصره)

المبحث الاول

التعرف على الليبرالية

المبحث الأول: التعرف على الليبرالية :

مفهوم اللـيبرالية

الليبرالية في اللغة (liberalism):معناها التحررية*أو (liberal) صفة معناها كريم ،سخي ،متسامح ،متحرر ،تحرري،ليبرالي ،العضو في حزب الأحرار[1] . والليبرالية اصطلاحاً:تعني

*التحرر او التحررية (liberalion)في لغة علم السياسة تعني اللفظة : اطلاق الحريات فالتحرير يدل على التمتع بحقوق الامة وتخليص البلاد من سيطرة الاجنبي وحكم المستعمر والتحرر في السياسة هو الخروج من ربقة الاستعمار والتخلص من القيود المفروضة على الحريات العامة للمواطن . ويعد جون لوك احد مؤسسي مذهب الحرية الجديد ، ويذهب الى ان للانسان حقوقاً مطلقة لا يخلقها المجتمع ،وان الطبيعة تقوم في الحرية ، وبالتالي العلاقات فيها تكون على شكل علاقة كائن حر بكائن حر وعلية تؤدي الى المساواة.ينظر والآراء التي اطلقها روسو تمثل ذروة الدعوة التحررية التي بدأها اسلافه من المفكرين السياسيين من امثال لوك ومونتسكيو. ويتضح من مؤلفه الشهير " العقد الاجتماعي Contrat social عام 1762 " الذي ارسى فيه دعائم الحقوق السياسية للفرد بصورة ثابتة. ومن المواقف السياسية لكانط في دفاعه الدائم عن الحرية بكافة اشكالها في ظل القانون ،وباعتبار السياسة هي وسط الفلسفة النظرية والعملية (الاخلاق) فلا لابد كل البُد من ان تتضمن الحرية ، كما يقول كانط ، "الحرية (الاستقلال عن كونها مقيدة لبعض الاختيارات) ، بقدر ما يمكن أن تتعايش مع حرية أخر يين وفقا للقانون العالمي وهو قانون الحرية العام وحقوق الانسان وهذا ما اسماه كانط ب(الحق) وعرفه :" مجموعه الشروط التي بها تستطيع حرية الاختيار عند الفرد ان تتوافق مع حرية الاختيار عند الاخر ،وفقاً لقانون الحرية العام ". ينظر: الكيالي ،عبد الوهاب:موسوعة السياسة،ج1 ،بيروت ،لبنان1974.ص1465. و :كرم،يوسف:تاريخ الفلسفة الحديثة.القاهرة 1979.ص145. ينظر: اباظة (ابراهيم دسوقي): تاريخ الفكر السياسي. دار الرياض، بيروت، 1975. .ص 242.

[1] البعلبكي ،منير :المورد القريب قاموس انكليزي _عربي ط5 بيروت ،لبنان 2004.ص230-231 .

**الرجعية :مصطلح سياسي اجتماعي يستخدم للدلالة على تيارات تعارض مفاهيم تحديثية وتقدمية او يسارية جديدة وذلك عن طريق التمسك بالتقاليد الموروثة وتنظر الى الماضي كعصر ذهبي وتطالب بالرجوع اليه دون ان تكون شروط ذلك متوفرة لتغير متطلبات الحياة وظروف المجتمع . كما ان الرجعية كمفهوم واعتناق لا تقتصر على طبقة من طبقات المجتمع ،ونجد ان التيارات والاحزاب التي تتبنى المنطق الرجعي هي اليمينية المتحجرة ويجب تمييزها عن اليمين الليبرالي الذي يعد اكثر مرونة وانفتاحاً .ويطلق على بعض الاحزاب الرجعية في الغرب اسم الاحزاب المحافظة .ينظر: الكيالي .عبد الوهاب :موسوعة السياسة ،ج2،ص814.

(مذهب الأحرار)عند اغلب الباحثين والمفكرين وهي مبدأ وسط بين الرجعية**وبين الراديكالية *** مع الاستعداد لإدخال تغيرات لا تعترف بها التقاليد ،ومذهب الأحرار هذا ينطوي على الاهتمام بالنهوض الاجتماعي وتحسين الحالة

العامة دون الالتجاء إلى إقحام تعديلات خطيرة على نظام المجتمع وبنيانه المعروف [2] .

كما تعرف الليبرالية أيضاً على أنها تيار سياسي وإيديولوجي يضم أنصار النظام البرلماني البرجوازي وحرية عالم الإعمال والمال الرأسمالي ، ويعبر عن مصالح البرجوازية الصناعية في أثناء صراعها من اجل السيطرة السياسية والاقتصادية ،ومع نمو الحركة الثورية (البروليتارية)* يعبر الليبراليون عن مطالب الحريات الديمقراطية ويتواطؤن مع الرجعية[3] .

من ناحية أخرى نجد هناك صعوبة في تحديد تعريف دقيق لليبرالية وذلك لتعدد مجالاتها (وهذا ما سنتناوله في موضع آخر من هذا البحث) وتعدد جوانبها وتطورها من جيل إلى آخر ، وفي حال تحديد الليبرالية نجد إن هذا التحديد لا ينطبق على عدد من الفلاسفة والمفكرين الذين ينهجون الليبرالية منهج دراسة.ونجد إن موسوعة لالاند الفلسفية تشير إلى صعوبة تعريف مفهوم الليبرالية ،فجاء فيها " نرى مدى الالتباس في هذا اللفظ .ومما يزيد في الالتباس استعماله الطارئ المتداول في أيامنا للدلالة على الأحزاب والنزعات السياسية" [4]

***الراديكالية (radicalism): تترجم الى العربية بالجذري ، نسبة الى جذور الشئ ، والجذريون او الراديكاليون هم الذين يريدون تغير النظام الاجتماعي من جذوره ويطلق تعبير الراديكالية اليوم على المتطرفين نحو اليسار غالباًونحو اليمين احياناً قليلة. اما معناها فنقصد به الاصلاح السياسي من الاعماق والجذور فقط . للمزيد ينظر:دودج، مارتن: اعرف مذهبك . ترجمة احمد المطركي ، بيروت ،لبنان 1972. ص70 .

([2]) ينظر:دودج، مارتن: اعرف مذهبك. ص71 .

*البروليتارية (proletariat) تاريخيا كان البروليتاري مواطنا من الطبقة السادسة والاخيرة في المجتمع الروماني وبهذه الصفة كان يعطي من الضرائب وكان ينظر اليه على انه مفيد فقط من ناحية انجاب الاطفال الذين سيصبحون عبيدا او جنودا في خدمة المجتمع . وفي اوائل القرن التاسع عشر اعيد استعمال هذه الكلمة في الادبيات السياسية للدلالة على الطبقات الدنيا من المجتمع . وحدد ماركس وانجلز هذه الطبقة بوصفها طبقة العمال المعارضة للطبقة البرجوازية .للمزيد ينظر :الكيالي ،عبد الوهاب : موسوعة السياسة ،ص533.

([3])ينظر : بوترين ،يوريس: قاموس موجز للاصطلاحات السياسية . دار النشر وكالة "نوفوسين"،1983 .ص78 .

([4])لالاند ، اندرية :موسوعة لالاند الفلسفية .تعريب خليل احمد خليل .منشورات عويدان ،بيروت – باريس ،مج2 ، ط2، 2001 . ص725 .

،وكذلك في الموسوعة العربية العالمية نجد أنها : "تعتبر الليبرالية مصطلحا غامضاً لان معناها وتأكيداتها تبدلت بصورة ملحوظة بمرور السنين"[5]

ونجد إن الليبراليين في مختلف العصور ومع اختلاف توجهاتهم السياسية إلا إنهم يجتمعون على نقطة معينة هي"إن الليبرالية هي حرية المبدأ والمنتهى ،الباعث والهدف ، الأصل

والنتيجة في حياة الإنسان وهي المنظومة الفكرية الوحيدة التي لا تطمع في شئ سوى وصف النشاط البشري الحر وشرح أوجهه والتعليق عليه "[6] . ومن هذا نجد إن الليبرالية تؤكد على أهمية الفرد وتحرره من كل سيطرة واستعباد وتسلط ،مهما كان هذا الأخير :تسلط الدولة (الاستبداد السياسي) أو تسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي) تسلط الأفراد (الاستبداد الأناني) وعليه تكون الإجابة على السؤال الفلسفي المشهور عند الليبراليين :ما هي الحياة المثلى للإنسان؟ هي الليبرالية لان لكل فرد الحرية في اختيار أسلوب الحياة الذي يناسبه .و لالاند في موسوعته يؤكد هذا المفهوم عن الليبرالية بقوله"اسم الليبرالية هذا يدل على العقائد التي ترى ان الحد من دور الدولة هو بمنزلة وسيلة أساسية لهذه الحرية[7]والليبرالية تختلف

([5]) مجموعة من المؤلفين :الموسوعة العربية العالمية ،ج21،ط2،نشر واعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،السعودية 1999.ص247.

([6]) العروي ،عبد الله :مفهوم الحرية .المركز الثقافي العربي ،ط5،بيروت- لبنان 1993، ص39.

([7])لالاند ، اندرية :موسوعة لالاند الفلسفية .مج2.ص726.

*الديمقراطية من حيث اللفظة فهي تشتق من اللفظة اليونانية ديمو demos وتعني الشعب ، وkratos وتعني القيادة أي الحكم بواسطة الشعب.. بمعنى اوسع الديموقراطية هي نظام سياسي يقيم العلاقة بين افراد المجتمع والدولة وفق مبدأي المساواة بين المواطنيين ومشاركتهم الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة .وأساس هذه النظرة هو المبدأ القائل بأن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشرعية . و للديموقراطية انواع جميعها تعتمد حكم الاغلبية هي :اولاً: الديموقراطية المباشرة حيث يمارس الشعب فيها بنفسه مهام سن التشريعات والقيام بمهام السلطة التنفيذية من تعيين للموظفين المكلفين بتطبيق القرارات التشريعية ومن اصدار الاحكام . ثانياً: الديموقراطية شبة المباشرة حيث ينتخب الشعب نواباً لمناقشة القضايا والقوانين العامة وليست التشريعات شأنها وليعين السلطة التنفيذية ويحاسبها على اعمالها شرط احتفاظ المواطنين بحق تقرير المسائل الرئيسية فيقرها الشعب عن طريق الاستفتاء. ثالثاً: الديموقراطية التمثيليه حيث ينتدب الشعب نواباً لممارسة السلطة بأسمه بدون تحفظ عدا احترام الدستور ودورية الانتخابات . ينظر : الكيالي،عبد الوهاب :موسوعة السياسة ،ج2، ص751-752. ديدية،جوليا :قاموس الفلسفة. ص223

*السلطة (Authority) وهي ركن من أركان الدولة الحديثة وهذا المفهوم يرتبط بمفاهيم أخرى مثل فكرة الإلزام (Obligation)بالنسبة للخاضعين للسلطة ،ومفهوم الشرعية(Legitimacy)حيث إن السلطة الشرعية هي تلك السلطة التي تعترف بها انها مشروعة او مبررة من طرف اؤلئك الذين تطبف عليهم . وكما نجد ان الصلة وثيقة بين السلطة والقوة ولكن ما يفرق السلطة عن الاخيرة هو ان صاحب السلطة مطاع اعتياديا.وخيراً السلطة في سياق الحكم الديموقراطي هي القوة المقبولة والمطاعة والاساس الذي يدعم هذا القبول او الطاعة هو الرضى من قبل

عن الديمقراطية* (Democrats) التي تعطي السلطة* للشعب وبالتالي قد يؤدي إلى اضطهاد الأقليات . فالليبرالية لا تقتصر على حقوق وحرية الأغلبية بل هي في الواقع تؤكد

على حرية الفرد وهي بذلك تحمي الأقليات، فمن مبادئ الليبرالية التي تثبت في دستور الدولة (إن تمنع الأغلبية من اضطهاد الأقليات ، وتحول نظام الحكم إلى ما يدعى بالديمقراطية الليبرالية)[8] . وعليه نصل إلى انه ليس هنا تعريف جامع مانع لهذه الفلسفة ،حتى إن البعض لا يجعل منها فلسفة أصلا وإنما هي كلمة لها سحر خاص ،فهي من الكلمات التي يزخر بها قاموس الفلسفة عامة والفلسفة السياسية خاصة. وتمتلك تلك الكلمة جاذبية لا تقاوم لكن بالرغم من تلك الجاذبية والجمالية المفرطة التي تتضمنها (وذلك لان احد معانيها الحرية وهي غاية إنسانية نبيلة) نجد الغموض يلفها ويلف معتنقيها. وهي اليوم أكثر غموضاً من ذي قبل بحكم التأويلات التي تنازعها والقناعات التي تفرض أحادية الطرح وهيمنة تصوراتها ومواقفها خارج نطاق الحوار[9]. وهذا ما سنبينه في موضع آخر من البحث

الاكثيرية ذوي العلاقة . ينظر د.محمود عودة اسس علم الاجتماع دار النهضة العربية ،بيروت –لبنان . ص238-249 .ومصطفوي ،محمد :نظريات الحكم والدولة ، دراسة مقارنة بين الفقة الاسلامي والقانون الدستوري الوضعي ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي /سلسة دراسات حضارية ،ط2 بيروت-لبنان (بلا) ، ص25 . و قربان ،ملحم :المنهجية والسياسة دار العلم للملايين، ط3، بيروت 1977. ص359 .

([8]) ويكيبديا:الموسوعة الحرة :مصطلح السلطة . http:\\ar.Wikipedia.org\wiki\السلطة

([9]) الجديدي ،محمد :الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، منشورات الاختلاف ،دار العربية للعلوم ناشرون ط1 بيروت2008 .ص307

*الحكومة :هي التنظيم السياسي للدولة والاداة التي تمارس الدولة من خلالها سيادتها على الشعب او اقليم معين ،وعلى هذا الاساس فإن الحكومة هي جزء من الدولة ،والعلاقة بينهما علاقة الاصل (الدولة)بأحد الفروع(الحكومة) ،فالدولة هي صاحبة السلطة ومليكتها ،والحكومة هي التي تمارس هذه السلطة بالنيابة عن الدولة .كما ان الحكومة هي اليد في التصور القديم ،والجهاز التنفيذي لما يقره مجلس النواب الذي يمثل اختيار المواطنين لمدة معلومة .العروي ،عبد الله :من ديوان السياسة . المركز الثقافي العربي ،ط1 بيروت-لبنان ،2009 . ص139،و نظر بسيوني عبد الغني :نظرية الدولة في الاسلام ،الدار الجامعية ،بيروت –لبنان 1986 .ص39-40 . وينظر: مصطفوي ،محمد :نظريات الحكم والدولة ، ص22 .

**يقصد بالحرية المدنية انها تلك الحرية الموهوبة للانسان بوصفه الموطن الذي يخضع للقوانين المدنية ويسير وفقا ًلها وعليه يوهب تلك الحرية .والحرية المدنية هي التي تحدد القطاعات التي تتدخل الحكومة فيها ، ولاسيما مايتناول حرية الحديث والنشر والاجتماع والمعتقد الديني .وقد تناول فلاسفة العقد الاجتماعي مسألة الحرية المدنية عندما يتحولون من الحالة الطبيعية الى حالة المجتمع المدني.وابرموا العقد الاجتماعي لضمان هذه الحرية.ينظر:

بشكل أوسع .وقد اقترنت النظم الغربية بأفكار وقيم الليبرالية ،وهي نظم دستورية حيث تحد الدساتير من سلطة الحكومة* وتحافظ على الحريات المدنية** ،كما أنها تمثيلية أو برلماني

أي إن الصعود إلى المناصب السياسية يتم من خلال انتخابات تنافسية [10] ويمكن رؤية هذا بوضوح في الغرب اليوم .

وان من ابرز سمات الليبرالية التي يفتخر بها الليبراليون حرية الرأي للشعب حيث لا تغيب حقوق وحريات الأقليات ،ويجب ان يكون لهم نسبة في مناصب الدولة. والليبرالية لا تضحي بصالح فرد واحد، ولو مقابل صالح مئات الملايين من مواطنيه، ذلك لقدسيته، وما دام المجتمع الليبرالي يتيح للجميع فرص تحقيق الآمال (ما دامت لا تضر بالآخرين)فليس هناك ثمة ضعيف*.

وأخيرا نجد إن لليبرالية مفاهيم متعددة بحسب ما تضاف إليه ويجمع هذه المفاهيم الاهتمام المفرط بالحرية ،أو تحقيق الفرد لذاته ،واعتبار الحرية هدفاً وغاية في ذاتها .والمفهوم الفلسفي لهذا المذهب الفكري هي الحرية المطلقة التي لا تحدها الحدود ولا تمنعها السدود إلا

غالي، د.بطرس: مدخل في علم السياسة ،ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1959م .ص66. و:الكيالي،عبد الوهاب :موسوعة السياسة. ص242

([10])"لماذا الليبرالية "دراسة بعنوان "الليبرالية التي نسعى لها "من كتاب "مفردات الثقافة السياسية "محمد قطب . ص2 .نقلا من الانترنت . http:\\hawariboumadianis20.maktoobbloy.com\1413954الليبرالية

* ويعد جون لوك ابو الفردانية الليبرالية ،وله تأثير عميق على كل من نادى بالتراث ،كما نجد سياسة لوك متكاملة مع فلسفته التي تعتبر التجريبية سمتها الغالبة ،حيث فلسفته السياسية ترتكز على الواقعية ،وقد فسر هذا حتى عند كلامه عن المعقول، حيث يجب على السياسة ان تؤدي الى السعادة من خلال الافراد العاقلين الاحرار ،وهذه في الوقت نفسه هي غاية عقلانية .ينظر: توشار ،جان : تاريخ الفكر السياسي .ص297.

ما كان منها متجاوزاً لحريات الآخرين على قاعدة "**تنتهي حريتك من حيث تبدأ حريات الآخرين**"(11)

1-2 الأسس الفكرية لليبرالية (النشأة والتطور)

من اجل فهم الأسس الفكرية لليبرالية لابد من التعرض إلى تاريخ نشأتها وتطورها الفكري والواقعي معاً.

وما إن ندخل في دراسة تأريخ الليبرالية حتى نجد انه لا توجد بداية حقيقية تفجرت من خلالها الليبرالية ، ويقول البعض لم تظهر الليبرالية كمذهب سياسي قبل القرن التاسع عشر ، ولكنها قامت كأيدلوجية على أفكار ونظريات تنامت قبل ذلك بـ(300) عام، حيث نشأت الأفكار الليبرالية مع انهيار النظام الإقطاعي في أوربا والذي حل محله المجتمع الرأسمالي أو مجتمع السوق.

وبتتبع تاريخ الفكر الفلسفي نجد إن العديد من المدارس الفلسفية تحمل في ثنايا فلسفتها ومبادئها بذوراً لليبرالية في مفهومها الحديث. فمثلاً، في الفلسفة اليونانية وتحديداً في النصف الثاني من القرن الخامس ق. م، جاءت فلسفة السفسطائيين لتعبر بقوة عن النزعة الفردية*، ويتجلى هذا في نظرياتهم السياسية والأخلاقية والتربوية. حيث يقول بروتوجوراس: "إن الإنسان هو مقياس الأشياء جميعاً"(12). ويبقى سقراط **(470-399 ق.م) في حياته

(11) ينظر: السلمي (عبد الرحيم بن صمايل): الليبرالية نشأتها وتطورها ومجالاتها. (1، 2)، 30/ 10/ 2002. http://www.hurraf.org\vb\show threaad.php?t=5536

* ان أصول هذه النظرية عند السفسطائيين الذين اهتموا بالمثل العقلية ورأوا إن الإنسان يضع القيم بإرادته. وكان (أبيقورس (342-270ق.م) اثني المولد، نشأ مع ساموس ودرس في أثينا وهو فتى، ثم قضى بعد ذلك بضع سنوات في آسيا الصغرى ثم عاد الى أثينا عام 306 ق.م واشهر ما يعرف به نظريته في مذهب اللذة. كامل، فؤاد،

وتعاليمه نموذجا فذا للإيمان بقدرة العقل وأهميته، ولضرورة إخضاع معتقداتنا للنقد والتدقيق، في جو من الحرية والانفتاح ..وخطبة بركليس (495–429ق.م) الشهيرة، التي أبّن فيها قتلى

أثينا، الذين سقطوا في بداية الحرب ضد أسبرطه، صياغة بليغة لمبدأ مساواة جميع المواطنين أمام القانون، كما أن فيها تعبيرا واضحا عن أهمية الفرد ومسؤوليته السياسية[13]

وكذلك أكدت المدرسة الرواقية (القرن الثالث ق.م) على أهمية اكتشاف حيّز في الذات الإنسانية لا تستطع إن تنفذ إليها سلطة المجتمع أو إي سلطة أخرى. ومتى اكتشف الفرد هذا الحيّز أصبح بإمكانه إن يتمتع بقدر من السيادة والحرية ولا يتأثر بتقلبات الزمان أو بأهواء البشر[14].ومن أهم مبادئها الأخلاقية هو "عش على وفاق الطبيعة"[15]. ومن هنا أدخلت الرواقية التمييز بين القانون الطبيعي وقانون الدولة.

الموسوعة الفلسفية المختصرة،ص15)أول من طور هذا الاتجاه ، حيث أكد بأن الدولة ليست من عند الله ، لخدمة عقائد الإنسان وتوجهه الى الحقائق السرمدية ،وإنما هي مجرد تنظيم وضعي صنعه الإنسان بيده ، بقصد ترتيب حياته على أسس التوفيق بين مطالبه ومطالب الغير، وبين حقوقه و حقوقهم و واجباته وواجباتهم الجرف ، د.طعيمة ، نظرية الدولة والأسس العامة للتنظيم السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1964.ص17. و كيتل، دايموند كارفليد ، العلوم السياسية ، ترجمة د.فاضل زكي محمد ، مراجعة احمد ناجي القيسي ، بغداد ، 1960م.،ص104.

([12]) (مطر) أميرة حلمي: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها. دار المعارف، سنة 1988. ص120- 121.

**سقراط :فيلسوف يوناني من اثينا ،لم يصل الينا الكثير عنه ؛لانه لم يترك كتابات خاصة به ،وما وصل الينا عنه كان من خلال بعض فلاسفة من بعده ،منهم افلاطون وارسطو .وقد عرف عن سقراط انه انزل الفلسفة من السماء الى الارض ،فقيل انه قال :"ان جل اهتمامي ليس بأسرار الله ،وانما بعقل الانسان " وعرف عنه انه اغلب الافكار التي شغلت باله هي تخص الانسان والدولة ، كما اهتم بمكارم الاخلاق حتى اصبح في هذا المضمار اول من اثار مشكلة التعرف التام ...وعرف عنه انه اول من اوجد منهجي (التهكم والتوليد)حيث باختصار من خلال الاسئلة يوصل محدثية الى الايمان بآرائه من أنفسهم. وقد اتهم سقراط تهماً منها (إنكار الالهه،افساد الشباب)وعقوبة هذه التهم هو الاعدام ،وفعلاً انتهت حياته معدوماً .كرم يوسف:تاريخ الفلسفة اليونانية،ط5، القاهرة .1970.ص52 ،وينظر :ال ياسين ،جعفر: فلاسفة اليونان من طاليس الى سقراط .ط3، مكتبة الفكر العربي ،بغداد 1985.ص139. و ينظر هنري،توماس:اعلام الفلسفه كيف نفهمهم ترجمة متري امين ،القاهرة 1964.ص80.

([13]) (أمين):احمد :قصة الفلسفة اليونانية . ص304 .

* الإقطاع نظام اجتماعي سياسي –اقتصادي ظهر في اوربا في القرون الوسطى ،ويرتكز على حكم سادة الارض (النبلاء) اصحاب الاقطاعيات ويتعاون معهم في ذلك الجهاز المسلح من الفرسان و المرتزقة بقصد الارهاب وفرض ارادة الاقطاعي ،الى جانب الكنيسة التي كانت تقوم بأدوار مختلفة تقود في مجموعها الى تبرير الوضع والمحافظة عليه .الكيالي ،عبد الوهاب :موسوعة السياسة .ج1 .ص243 .

([14]) ينظر : (زيادة) معن: الموسوعة الفلسفية العربية. ص 1156.

([15]) ينظر :(أمين) احمد: قصة الفلسفة اليونانية. القاهرة، 1949. ص 303.

وما إن نصل بالتتبع التاريخي لليبرالية ،إلى العصور الوسطى فإننا لا نجد لها ملامح واضحة في ظل سلطة الإقطاع* والتسلط الكنسي الذي غيب كل الحقوق والحريات للأفراد إلا من له علاقة بالكنيسة أو كان من الأشراف حسب مفاهيمها .ويجعل البعض من الكتّاب ،القرن الرابع عشر هو البداية لليبرالية حيث استعملوا كلمة (liber)التي تشير إلى طبقة الأحرار ،أي إنهم ليسوا فلاحين ولا عبيداً.وهذه الكلمة ترادف "الكريم"[16] . وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الليبرالية تمثل البرنامج الأيديولوجي للبرجوازية الفتية، التي كانت تناضل ضد بقايا الإقطاعية وتلعب دوراً تقدمياً نسبياً[17].

من هنا يمكن دراسة تطور مراحل الليبرالية بعد أن استعرضت ملامح من نشأتها ،نجد إن الليبرالية مرت بطورين خلال مسيرتها الفكرية عبر العصور ،وكل من هذين الطورين يتمتع باختلافات عن الطور الآخر تبعاً للحقبة الزمنية (رغم انه مذهب واحد) وهما:

1-الليبرالية الكلاسيكية (القديمة) Classical Liberalism :

والمراد من هذه التسمية الليبرالية في أول نضوجها أي في بداية العصر الحديث في أوربا حيث كان الإنسان الأوربي يعاني من انتهاك صارخ لحقوق الإنسان وكرامته تحت وصاية الدين والإقطاع والملكية ،حيث عملت هذه الوصايا على تحطيم الإنسان الغربي ،وقلصت مساحة حريته لأدنى الحدود .فكانت الليبرالية هي المنقذ من هذه الويلات بأفكارها حيث كان مضمون هذه الأفكار التمرد والرفض لكل أشكال السلطة الخارجية المانعة من

---

(16) ينظر : رؤوف (هبة): الليبرالية ايديولوجية مراوغة افسدها رأس المال. 8/ 8/ 2004. www.islamonline.net. htttp:\\www.islamonline.net \servlet\satellte?c=article_C…Zone

(17) ينظر: المعجم الفلسفي المختصر. ترجمة: توفيق سلوم، مطبعة دار التقدم، موسكو، 1986. ص 99.

تحقيق الاستقلال الذاتي الفردي . فكانت الليبرالية في الغرب هي المنارة المضيئة في تاريخ البشرية منذ انبثاقها في بداية عصر التنوير وحتى الثورة الصناعية (1750–1850م)، إذ كانت هذه المرحلة تعبر عن حقبة زمنية محدده لها ظروفها هي ،مرحلة الرأسمالية الوليدة والصاعدة ،وعن اتساق متطلبات تقدم البشرية مع متطلبات صعود الطبقة البرجوازية ،ولم يكن من الممكن انتشار الأفكار الليبرالية في مختلف دول القارة الأوربية ،وفي الولايات المتحدة الأمريكية لو لم تكن متفقة إلى ابعد الحدود مع حرية الفرد التي قادته إلى محاربة الاستبداد على الصعيد السياسي ،والى العقلانية على الصعيد المعرفي ،والى العلمانية ،وتحرير المرأة ،والى الديمقراطية التي

تشكل التخطي الديالكتيكي لهذه الليبرالية[18] . وكان جون لوك* John Lock(1632–1704م) أبرز فلاسفة الليبرالية الكلاسيكية،و تنطلق نظريته من فكرة العقد الاجتماعي**

([18]) ينظر : المديني،توفيق :التوتلليتارية الليبرالية الجديدة والحرب على الارهاب ،منشورات اتحادالكتاب العرب ،دمشق 2003 .ص8

*جون لوك john Lock: ولد جون لوك بالقرب من بريستول في انكلترا في عام 1632 م ،.بدأ رحلته الدراسية عندما دخل مدرسة وستمنستر وبقي هناك ست سنوات حتى بلغ العشرين ،وعندها انتقل الى الاكسفورد وتابع فيها دراسة الكهنوت لكنه لم يتذوق الفلسفة المدرسية ،ولم يحب مايقرأ الا بعد ان قرأ لديكارت وجساندي ، حيث بدا له ان الوجهه الاخلاقية من الدين اجدر بالدراسة من الوجهه الاعتقادية . وفي الشطر الثاني من حياته ساهم لوك في جميع الحركات الفكرية التي كان يضطرب بها عصره ، وصنف فيها كتباً اهمها :(خواطر في الجمهورية الرومانية ، في التسامح ، في الحومة المدنية ، اعتبارات في نتائج تخفيض الفائدة وزيادة قيمة النقد ، خواطر في التربية ، في العقل الانساني ، محاولة في الفهم الانساني) ويعد جون لوك احد مؤسسي المذهب الحري الجديد ، ويذهب الى ان للانسان حقوقاًمطلقة لا يخلقها المجتمع ،وان الطبيعة تقوم في الحرية ، وبالتالي العلاقات فيها تكون على شكل علاقة كائن حر بكائن حر وعليه تؤدي الى المساواة. كما نجد ان فلسفة جون لوك في التسامح ، هي فلسفة علمانية بصورة جذرية . وهو يفصل بدقة بين الزمني والروحي ،وهو يعلن :"ان كل سلطات الحكومة المدنية لا تتعلق الا بالمصالح المدنية " ويضيف بأن الاراء الدينية تتمتع بحق مطلق وشامل بالمسامحة . و ينظر توشار ،جان :تاريخ الفكر

السياسي ،ترجمة الدكتور علي مقلد ،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان.بلا. ص295 ومابعدها. ينظر : كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ط3، دار العلم، بيروت ، 1977م . ص141-142 .

**العقد الاجتماعي حسب تعرف جميل صليبا هو((اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب كل منهم وهو في حالة الطبيعة أن يعهد من شخص ومن كل ما لديه من قدرات الى الإرادة العامة التي تنظم بها حياة الكل)) . فغاية التعاقد هي تنظيم وحماية الحقوق الطبيعية للفرد وحياته وحريته وملكيته. ومن هنا ندرك بأن القوة السياسية لا توجد ولا تمارس الا للصالح العام فأساس الحكومة الرضى وسلطة الحكام لا تأتي عن حق مطلق او كمنحة بل عقد له شروط. ولضمان سلامة العيش في ظل العقد بأمان فقد اتاحت الطبيعة للفرد سلطتين اساسيتين تتمثلان في حقه في الحفاظ على بقائه وبقاء الاخرين وحقه في ان يوقع العقوبة على كل من تسول له نفسه الاعتداء على قانون الطبيعة وهذه يمكن اعتبارها الخطوة الاولى في تأسيس قانون العقاب والثواب وفق النظام الطبيعي القائم على القوة من اجل بقاء الانسان لممارسة دوره في الحياة. وابرز فلاسفة العقد الإجتماعي هم جون لوك ،وجان جاك روسو،ففيما يخص جون لوك وفي المرحلة الطبيعية البدائيةالناس يولدون احراراً متساويين يحكمهم القانون الطبيعي الذي هو صوت العقل الإلهي البادي في ضمير الناس، والكل فيه هو قاض لقضيته والكل مساوٍ للآخر، هو نوعاً ما ملك، يمكن ان تسول له نفسه عدم مراعاة العدل بدقة وهذه تحديدات خطيرة لصون الحرية. يبين ذلك لوك: "هو وضع من الحرية التامة في القيام باعمالهم والتصرف باملاكهم، ...، فمن اطار السنة الطبيعية وحدها– دون ان يحتاجوا الى اذن احد او يتقيدوا بمشيئة انسان. وهو وضع من المساواة ايضاً حيث تتكافأ السلطة والسيادة كل التكافؤ". اي فحياة الفطرة هذه لا ينقصها إلا لتنظيم الذي يحقق قيام الحكم ووضع القواعد اللازمة لتقرير الجزاء ضد المعتدين، أي إنها لا تشتمل على تنظيم مثل القضاة والقانون المكتوب والعقوبات المحدودة ، مما يؤدي الى تنفيذ قواعد الحق.ففي المرحلة الطبيعية في ظل انشاء مجتمع مدني لابد من ابرام عقد بين أفراد الشعب "الناس " حيث يوكلون احدهم ويكون ما يسمونه بـ" الملك " وهم بذلك يسمون بـ "الرعية " وهذا العقد يكون عبارة عن عقد او عهد بموجبه يتنازل الافراد عن جزء من حقوقهم الطبيعية مقابل التمتع بمميزات المجتمع السياسي فالفرد قد اتفق بمحض ارادته مع الاخرين على التنازل عن ارادته الشخصية في سبيل الحصول على المنافع التي تنجم عن التعاون الاجتماعي مع الاخرين ولم يحصل الفرد على حماية المجتمع الا بتنازله عن حقوقه الطبيعية. كما نجد روسو ينضم إلى من سبقه من الفلاسفة الذين نادوا بـ(العقد الاجتماعي) وبالفعل الف روسو مؤلفاً اسماه "العقد الاجتماعي " ،وقد جاء حل روسو هذا كمحاولة لإصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع ، وهذا الإصلاح يؤدي بالإنسان الى التمتع بالمميزات الطبيعية التي يتمتع بها من قبل ، التي فقدها الى الأبد ، بعد تعلق الإنسان بالحياة الاجتماعية التي كانت بمثابة طبيعة ثانية ، لا يستطيع أن يستبدل بها غيرها، فكان يلتمس الطبيعة وقوانينها في ثنايا المجتمع.اي انه ينادي بالعودة الى الطبيعة وما تتسم به وفي هذا العقد يعتبر روسو الانسان حراً طليقاً من كل قيد وكان يعيش عيشة منفردة ، ومنعزلاً عن كل فرد آخر، إلا انه وجد نفسه مضطراً لظروف أحاطت به ، الى إن يجتمع مع أفراد آخرين وان يتعاقد معهم على صيغة عقد ضمني، يخضع كل واحد من المتعاقدين جميع حقوقهم إلى المجتمع. وينص العقد الاجتماعي على أن يتنازل كل فرد عن نفسه وعن حقوقه للمجتمع بأسره باعتباره مجموعة واحدة ، وهذا التنازل أوجد شخصية سياسية تتمتع بحياة خاصة، أو بآراء مستقلة ، وتنفصل عن حياة الأفراد المكونين لها وعن إرادتهم ، وهذه الشخصية السياسية نسميها (الدولة) ويمكن التعبير عنها بالصيغة التالية: ((يسهم كل منا في المجتمع وبكل قدرته تحت الإرادة العامة العليا ، وتلتقي على شكل هيأة كل عضو كجزء لا يتجزأ من الكل)) وسماها بالارادة العامة لانها تتكون من عملية التصويت ، وان عملية التصويت تؤدي باستثناء حالة الاجتماع النادرة الى وجود أغلبية وأقلية ، ومن ثم خضوع الأقلية للأغلبية معناه افتقاد الحرية والمساواة بين الأفراد في المجتمع المدني ، وبناءً على ذلك فان أعضاء الأقلية لا يكونون أحراراً بعد الآن ، فكان حل روسو لهذه المعضلة هو : إن خضوع الأغلبية معناه الخضوع للإرادة العامة التي تعبر عنها الأغلبية ، فأعضاء الأقلية لا يمكن أن يبقوا أحراراً متساوين إلا بخضوعهم للإرادة العامة .لذالك كانت إرادة الأغلبية دائماً تمثل الإرادة العامة. ينظر : روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ،

في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الإلهي التي تتزعمها الكنيسة. هذا ما سنتناوله بالتفصيل في المادة الخاصة ب"جون لوك" في هذا البحث .

أما في النموذج الاقتصادي، فقد برز آدم سميث (1790) م. وقد ركّز على الحرية المطلقة في المال دون تدخل أو تقييد من الحكومة أو الدولة. والليبراليون الكلاسيكيون يصرون على النظام الاقتصادي القائم على الملكية الخاصة لأنه يتفق مع

الحرية الفردية ، وهذه الخاصية تصر على أن الملكية هي الوسيلة الفعالة الوحيدة لحماية الحرية[19] . كما أن الليبرالية الكلاسيكية الغربية هي بمنزلة إيديولوجية الإمبراطورية البريطانية،حيث كانت بريطانيا تمثل الأولى في تطبيق هذا الطور من الليبرالية .

2-الليبرالية المعاصرة (الجديدة) New Liberalism:

ط1، 1983.، ص50 وما بعدها. وينظر: غالي ، بطرس ، المدخل في علم السياسية ، ص286-288.وكذلك: ينظر: عبد المعطي ،د. علي : الفكر السياسي الغربي. مطبعة دار الجامعات المصرية، مصر 1979.ص305-308. وينظر: الشاوي ، د.منذر، الدولة الديمقراطية ، ص94 .وينظر: العدوي ، عبد الفتاح حسين ، الديمقراطية وفكرة الدولة ، مؤسسة سجل العرب دار الاتحاد العربي للطباعة ، 1964، ص250 . و:ينظر: سابن،جورج،تطور الفكر السياسي،ترجمة د.راشد الراوي ،تقديم احمد سويلم العمري ،دار المعارف بمصر،القاهرة1971 ص705 ينظر:لوك (جون): الحكم المدني. مقالة (2)، فصل (2)، فقرة (4). ص 139. وينظر:مطر (اميرة حلمي): في فلسفة السياسة. القاهرة 1978. ص 101.و شفاليه (جان جاك): المؤلفات السياسية الكبرى من مكيافيللي حتى ايامنا. ترجمة: الياس مرقص، ط1، بيروت1980. ص 96. و ينظر: بدوي، د ثروت: أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م.ص123. وينظر: الشاوي، د. هشام: مقدمة في علم السياسة، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، بلا تأريخ . ص80. و ينظر: صليبيا،د.جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ج1 ، 1973م.، ص 82.

([19])ينظر: http:// palto .stanford.edu\entries\liberalism\\liberalism

*الايديولجيا Ideology: مصطلح لاتيني الاصل ، استخدمه لاول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى (علم الافكار).ينظر الكيالي ،عبد الوهاب : الموسوعة السياسية ،ج1،ص421.

تبدأ هذه المرحلة من الليبرالية في مطلع القرن العشرين، و في هذا الطور انتبه الليبراليون إلى أهمية دور الحكومة في حماية حريات الأفراد (وهذا ما لم يوجد في النمط السابق من الليبرالية)،حيث أصبح دور الحكومات هو تنظيم الحريات من جهة والاقتصاد من جهة أخرى ، ونلاحظ أن أبرز نقطة في التمايز بين الطورين هو في مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات ، ففي الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات بل الواجب عليها حمايتها ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصاية عليه ، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات. وهذه نقطة جوهرية تؤكد لنا أن الليبرالية اختلفت من عصر إلى عصر ، ومن فيلسوف إلى آخر ، ومن بلدٍ إلى بلدٍ ، وهذا يجعل مفهومها غامضاً كما تقدم.

والليبرالية الجديدة هي إيديولوجيا* الإمبراطورية الأمريكية حيث تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دورا رئيسا في صياغة هياكل القوة الاقتصادية من خلال قوتها السياسية و

العسكرية . و منذ فرضت الولايات المتحدة الأمريكية هيمنتها المطلقة على النظام الدولي الجديد في ظل القطبية الأحادية وهي تحاول إن تجعل العالم على ما تريد من رؤى أي وفق تفسيرها الخاص للقانون الدولي . وبتعبير آخر نجده عند (الان جوكس) إذ يقول :" إن قيام إمبراطورية عالمية (أميركية) عبر توسع اقتصاد السوق يؤدي إلى مسلسلات بلقنة – لبننة من خلال تدمير صلاحيات الضبط الخاصة بالدول التقليدية. فهذه الإمبراطورية الأميركية المفرطة في قوتها Hyper puissance كما يسميها أوبير فيدرين وزير الخارجية

الفرنسي السابق، تسيطر على العالم سيطرة ساحقة في المجالات الخمسة الأساسية، التي تقوم عليها القوة : السياسية، الاقتصادية، العسكرية، التكنولوجية و الثقافية. و هي ترفض رفضا قاطعا، أي الولايات المتحدة، تقاسم سيطرتها مع طرف آخر أو الحد منها فيما هي قادرة على ممارستها من دون ان يتمكن أحد (و لا حتى الأمم المتحدة) من الاعتراض[20].وقد تعرف الليبرالية تطورات أخرى في المستقبل ، ولعل أبرز ما يتوقع في الليبرالية هو التطور نحو العولمة *، و في هذه المرحلة من الليبرالية(في ظل العولمة) تنهار

الحدود بين الدول و المجتمعات ،و تصبح الكرة الأرضية عبارة عن إقليم مجهز بنسيج من أدوات الاتصالات الحديثة (طائرات، هواتف، فاكس، إنترنت) . و لم يشهد أي مجتمع آخر مثل هذا الانقلاب التاريخي المهم، الذي يتكون فيه مجال عالمي جديد ،غير مركزي و غير إقليمي، و بصورة تتجاوز الشكل الإمبريالي للدولة القومية، و تتجاوز نمط الإنتاج الرأسمالي للعصر الصناعي، بقدر ما تتجاوز الهويات الثقافية المحلية و المنظومات الفكرية الحديثة. أنه

([20]) آلان جوكس في بحثه " نظام التحالفات الجديد في الاستراتيجية الأمريكية " المنشور في دفاتر الدراسات الاستراتيجية في ربيع 1997.

**يعود أصل مفهوم العولمة --بوصفها مشروعا لمركزة العالم في حضارة واحدة-- إلى الأدب السياسي المتخصص للشركات العملاقة المتعددة الجنسية ، التي فرضت هيمنتها المتزايدة على المقدرات و الفاعليات المالية و الإنتاجية عبر العالم. العولمة يمكن اعتبارها المرحلة النهائية من الكوكبية التكنولوجية- الاقتصادية في ضوء التحولات الهائلة و الجذرية التي طرأت على خريطة العالم بفعل ثورة الاتصالات و المعلومات. و يمكن اعتبارها أيضا مجتمع عالم يتشكل تحت اسم العولمة أو ما بعد الحداثة من المخلوقات و المنتوجات أو الأنظمة و الآليات أو القوى و العلاقات أو الهويات و الذوات. و كما يتجلى ذلك على غير صعيد و في غير حقل من النشاط البشري و التطور الحضاري، اتصالات سريعة ، موارد افتراضية و مبادلات مختلفة الأشكال، تدفقات عالمية ، منظومات تراثية مرنة ، و شركات سلطوية معقدة، هجرات بشرية متزايدة، و هويات ثقافية مهجنة على أرضية جديدة ذات تعددية قصوى، و خريطة لعالم جديد حيث الحدود غير ثابتة والقدرات غير محدودة .وهذه المرحلة هي ما يسمى أيضا بـ"ما بعد الحداثة " . بول هيرست وجراهام طومبسون"ما العولمة –الاقتصاد العالمي وامكانيات الحكم " ترجمة د.فالح عبد الجبار ،سلسلة عالم المعرفة ، العدد273،سبتمبر2001 . ص12 . و العولمة تكون في خدمة الإنسانية حين تتبلور سياسة الكل الإنسانية، المرتبطة بالتلازم بتحقيق العدالة للجميع، خاصة للشعوب و الأمم غير الغربية، الذين يتعرضون لمصادرة حقوقهم الحضارية من قبل الغرب نفسه. و سوف تكو ن مهمة هذه السياسة تطوير ما هو إيجابي في الحضارة الغربية، بتقنياتها و علومها و قيمها الحضارية، و إسقاط كل ما هو سيئ منها، و القيام بتكافل بين الحضارات، مدمجين الإسهامات الأساسية للشرق و الجنوب .هذه السياسة الحضارية سوف تكون ضرورية للغرب نفسه

عالم جديد حيث السيادة تلبس فيه ثوباً جديداً [21] .

وبعد إن عرضنا لمسيرة الليبرالية التاريخية لعلنا وصلنا إلى مرحلة يمكننا إن نحدد فيها الأسس الفكرية الليبرالية ،وهذه الأسس نجدها في مراحل الليبرالية جميعها،أي لا يوجد فرد ليبرالي لا يعترف بها لأنها من الأجزاء المكونة للمذهب والمميزة له . وهذه الأسس تقسم إلى:

1- الفردية :

يعد مفهوم الفرد في العالم الحديث مفهوما مستقرا لدرجة أن أهميته السياسية تؤخذ أحيانا كإحدى المُسَلمات، فالليبرالية طورت ما كان عليه المفهوم في الحقبة الإقطاعية، حيث ساد إدراك للفرد باعتباره ليس لديه مصالح خاصة به أو هوية متفردة، فكان ينظر إلى الناس باعتبارهم أعضاء في مجموعات اجتماعية ينتمون إليها كالأسرة والقرية والمجتمع المحلي أو الطبقة الاجتماعية، فحياتهم وهويتهم كانت تتحدد بدرجة كبيرة بحسب صفات تلك المجموعات، وذلك في عملية تغير طفيف من جيل إلى آخر، وعندما

انهار النظام الإقطاعي واجه الأفراد نطاقا أوسع من الخيارات والإمكانات الاجتماعية، وأتيح لهم لأول مرة التفكير الفردي المطلق وبشكل شخصي بحت، فمثلا الفلاح المملوك الذي عاشت وعملت أسرته في نفس قطعة الأرض أصبح الآن رجلا حرا

([21])ينظر : مايكل هاردت و أنطونيو نيغري –الإمبراطورية – امبراطورية العولمة الجديدة،تعريف فاضل جتكرو مراجعة د.رضوان السيد. ط1 مكتبة العبيكان – الرياض –2000.ص47.

لديه القدرة على اختيار عمله وصاحب العمل، وأن يترك الأرض ليبحث عن عمل آخر في المدن الكبيرة.

ومع سقوط معطيات الحياة الإقطاعية ظهر أسلوب جديد من التفكير، فالتفسير العقلاني والعلمي بدأ تدريجيا يحل مكان التسلط الكنسي السائد في العصور الوسطى وأصبح النظر والتعامل مع المجتمع من زاوية الفرد وتحرره وليس الحفاظ على تضامن الجماعات الاجتماعية.

ويعد مبدأ أولوية الفرد على الجماعة الخط الرئيسي للفكر الليبرالي، حيث دفع بعض الليبراليين إلى تعريف المجتمع باعتباره "مجموعة من الأفراد يسعى كل واحد منهم لتحقيق مصالحه واحتياجاته"[22]. ويطلق على هذا الرأي المذهب "الذري"، حيث ينظر للأفراد كـ"ذرات متنافرة" بداخل المجتمع، ويؤدي هذا التفكير إلى استنتاج أن المجتمع نفسه غير موجود، بل هو "متخيل" فهو مجموعة من الأفراد المكتفين ذاتيا. وتقوم هذه الفردية المتطرفة على الافتراض بأن الفرد يتمركز حول الـ"أنا" فهو أساسا أناني ومعتمد على نفسه بدرجة كبيرة[23]. ويصف ماكفيرسون Macpherson (شخصية ليبرالية)الليبرالية الأولى بأنها "فردية مِلكية"، فالفرد هو المالك، ويمتلك نفسه وقدراته الخاصة به وهو لا يدين بها للمجتمع. وقد تطورت هذه الرؤية وصار لليبراليين فيما بعد رأي آخر أكثر تفاؤلا بشأن طبيعة الإنسان يؤمن بأن

([22]) ينظر :الكيالي، عبد الوهاب :موسوعة السياسة . ص31 .
([23]) عزة ،هبة رؤوف :الليبرالية ايديلوجيا افسدتها رأس المال ،الجوهر الليبرالي فردانية القيم والتصورات".موقع اسلام اون لاين ،اب 2004 نقلا من الانترنت WWW.ISLAM ON LINE

الأفراد لديهم مسؤولية لية اجتماعية إزاء بعضهم البعض خاصة الأفراد غير القادرين على رعاية أنفسهم (كالمسنين والمستضعفين والمعوقين). وسواء اعتبرت الليبرالية الفرد أنانيا أو غير أناني؛ فقد اجتمع الليبراليون على الرغبة في خلق مجتمع يكون فيه كل فرد قادرا على تنمية وتطوير قدراته لأقصى درجة ممكنة.(24)

إن أهمية الفرد في الليبرالية تفوق أي جماعة اجتماعية أو كيان جماعي؛ فمن الناحية المنهجية لمذهب الليبرالية يكون الفرد مركز النظرية السياسية والتفسير الاجتماعي؛ فكل حديث عن المجتمع لا بد أن يكون من منطلق الأفراد الذين يشكلونه. وفي المقابل تقول الفردية الأخلاقية بأن المجتمع يجب أن يخدم الفرد، وبذلك يعطي الليبراليون أولوية للأخلاق الفردية على حقوق واحتياجات والجماعات . هذا الموقف السابق يُعَد بمثابة موقف متميز عما ينادي به الليبراليون الكلاسيكيون واليمين الجديد من الأنانية الفردية التي ترتكز على المصالح الشخصية والاعتماد على النفس، بينما بلور الليبراليون الجدد هذا المفهوم بتأكيدهم على أهمية المسئولية الاجتماعية والإيثار جنبا إلى جنب مع مسئوليات الدولة الاجتماعية تجاه الأفراد.(25)

([24]) عزة ،هبة رؤوف :الليبرالية ايديلوجيا افسدتها رأس المال ،الجوهر الليبرالي فردانية القيم والتصورات".موقع اسلام اون لاين ،اب 2004 نقلا من الانترنت WWW.ISLAM ON LINE

([25]) عزة ،هبة رؤوف :الليبرالية ايديلوجيا افسدتها رأس المال ،الجوهر الليبرالي فردانية القيم والتصورات".موقع اسلام اون لاين ،اب 2004 نقلا من الانترنت WWW.ISLAM ON LINE

2 – الحرية Liberty:

أن من الطبيعي أن يؤدي الاهتمام الشديد بالفرد إلى المسؤولية تجاه حريته. ويعد الليبراليون حرية الفرد القيمة السياسية العليا، فهي المبدأ الموحِد الجامع في الفكر الليبرالي الحر. وكانت الحرية لدى الليبراليون الأوائل حقا طبيعيا لازما للوجود الإنساني، فهي تعطي الأفراد الفرصة لتحقيق مصالحهم وممارسة حق الاختيار مثل اختيار السكن والعمل... الخ، ورأى الليبراليون فيما بعد الحرية هي الشرط الوحيد الذي يمكن للأفراد من خلاله تنمية قدراتهم.وبالرغم من ذلك لا يقبل الكثير من الليبراليين بالحرية المطلقة، فإذا كانت الحرية غير محددة المعالم فهي تصبح ترخيصا يسمح بالإساءة للآخرين. وفي كتابه "عن الحريةOn Liberty "، يقول جون ستيوارت مل*(1806–1873): "إن المبرر الوحيد لممارسة القوة بشكل صحيح تجاه أي عضو في المجتمع المتحضر والتي تكون ضد إرادته هو منع الضرر عن الآخرين"[26].

وفي حين نجد أن الليبراليين يتفقون على قيمة الحرية فإنهم يختلفون في دلالات هذه الحرية في وعي الفرد. ففي كتابه" مفهومان للحرية" فرق أيزيا بيرلن* Isaiah Berlin بين النظرية السلبية والنظرية الإيجابية للحرية. وقد كان الليبراليون الكلاسيكيون يؤمنون أن الحرية هي قدرة الشخص على التصرف بالشكل الذي يختاره، وكان هذا المفهوم للحرية

*جون ستيوارت مل :وهو من الفلاسفة المحدثين الذين لهم اثر واضح في مسيرة الفلسفة ،حيث له باع في في مجالات الفلسفة منها :المنطق ،الأخلاق.كما له الكثير من المؤلفات التي تدل على ذلك منها: المنطق القياسي ،مبادئ الاقتصاد والسياسة ،في الحرية ،مراجعة فلسفة هاملتون .ينظر:كرم،يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة. ص342وما بعدها. وهو من أبرز المفكرين الغربيين الذين نظّروا للفلسفة الليبرالية من خلال كتابه (في الحريةon Liberty)

([26]) ينظر:العروي ،عبد الله:مفهوم الحرية .ص42.

*فيلسوف وسياسي بارز له مؤلفات عديدة في السياسة منها كتابه مفهومان في الحرية .

مفهوما سلبيا، حيث إنه قائم على غياب القيود الخارجية على الفرد .وفي المقابل يسعى الليبراليون الجدد إلى مفهوم أكثر إيجابية للحرية، وحسب تعريف بيرلن "هي القدرة على أن يكون الفرد سيد نفسه ومستقلاً بذاته"[27] ، وتتطلب السيادة على الذات أن يكون الفرد قادرا على تنمية مهاراته ومواهبه وعلى اتساع فهمه وتفهمه وعلى الوصول إلى الإنجاز والرضا. وتعني الحرية في فكر (جون ستيوارت مل) أكثر من مجرد التحرر من القيود الخارجية؛ فهي قدرة الأفراد على التطور. وفي النهاية تحقيق الذات بما يتفق مع رغباتهم. وتلك المعاني التي ذكرت للحرية أثارت الجدل الأكاديمي داخل المذهب الليبرالي فتبنى الليبراليون آراء مختلفة، بالتالي حول العلاقة المنشودة بين الفرد والدولة [28].من جهة اخرى نجد كانط* في دفاعه الدائم عن الحرية بكافة إشكالها في ظل القانون (اي انه يقوم بالحاق السياسة بالأخلاق)، فلابد كل البُد من ان تتضمن السياسة الحرية ، كما يقول كانط ، "الحرية (الاستقلال عن كونها مقيدة لبعض الاختيارات) ، بقدر ما يمكن أن

([27]) ينظر :برلين ؛ايزيا :مفهومان في الحرية نقلاً عن :العروي ،عبد الله :مفهوم الحرية .ص44.

([28]) ينظر : عزة ،هبة رؤوف :الليبرالية ايديلوجيا افسدتها رأس المال ،الجوهر الليبرالي فردانية القيم والتصورات".موقع اسلام اون لاين ،اب 2004 نقلا من الانترنت WWW.ISLAM ON LINE

* إمانوئيل كانط Immanuel Kant (1724-1804 م) :ولد كانط بكونجسبرج في ألمانيا ، من أبويين فقيرين على جانب عظيم من التقوى والفضيلة ، ينتميان الى شيعة بروتستانتية تدعى " التقوية " تستمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية القائلة إن الإيمان يبرر المؤمن ،وترى إن محل الدين الإرادة لا العقل . وتعلي من شأن القلب والحياة الباطنية . وقد كانت له مؤلفات عديدة في شتى أفرع الفلسفة ،ومنها في مجال فلسفة الأخلاق والجمال والميتافيزيقا والدين..، ومن هذه المؤلفات :(رسالة بعنوان "الأساس الممكن الوحيد للبرهنة على وجود الله" عام 1763م ، دراسة بعنوان " وضوح مبادئ العلم الإلهي النظري والأخلاق " عام1764 م.، رسالة بعنوان " صورة ومبادئ العالم المحسوس والعالم المعقول"عام 1770م، كتاب "نقد العقل الخالص النظري " عام 1781 م،وهو من أهم مؤلفاته. ،رسالة بعنوان " لكل ميتافيزيقا مستقبلية تريد إن تكون علماً " عام 1783 م ،كتاب "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق "عام 1785 م ، كتاب "نقد العقل العملي " عام 1788 م ،رسالة "في السلام الدائم "عام 1795 م . وهذا أهم مؤلف لديه يهمنا في هذه الدراسة ، كتاب "ميتافيزيقا الأخلاق" عام 1797 م . ينظر: كرم ،يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة : ص208وما بعدها .أما فيما يخص فلسفته الأخلاقية فقد وضع كانط بعض القواعد الأخلاقية التي تعمل على تقويم الفعل الإنساني ،وهذه القواعد هي :

1- "افعل فقط طبقاً للقاعدة التي تجعل في إمكانك ان تريد لها في عين الوقت ان تغدو قانوناً كلياً ".

2- "افعل على نحو تعامل الإنسانية في شخصك كما في شخص غيرك ، كغاية دائما وفي نفس الوقت ،لا مجرد وسيلة ألبته ".

3- افعل بحيث تستطيع التصرف في مملكة الغايات على انك ذات وعلى انك مشرع في نفس الآن " .ينظر: كانط ،إمانويل : أسس ميتافيزيقا الأخلاق ،ترجمة وتقديم فتحي الشنيطي ،دار النهضة العربية ،لبنان 1970 م. ص108-109 .وكذلك بدوي،عبد الرحمن :الأخلاق النظرية ،وكالة المطبوعات ،الكويت 1975م . ص27 -28 .

تتعايش مع حرية الآخرين وفقا للقانون العالمي" [29]. وهو قانون الحرية العام وحقوق الإنسان وهذا ما اسماه كانط بـ(الحق) بقوله :" مجموعه الشروط التي بها تستطيع حرية الاختيار عند الفرد إن تتوافق مع حرية الاختيار عند الآخر ،وفقاً لقانون حرية عام" وعليه تكون حقوق الإنسان هي :

1- الحرية كإنسان .

2- المساواة كفرد أمام قانون أخلاقي واحد .

3- الحق في المواطنية ، أي حق الجميع الذين ليسوا في حالة تبعية (يستبعد الخدم والعمال) تمنعهم من إن يكونوا في حالة إخوة متساوية أمام القانون المشترك . [30] وكانط يرفض أي أساس آخر للدولة غير الحرية ، ولاسيما بحجة أن رفاه المواطنين لا يمكن أن يكون أساسا لسلطة الدولة. ويجادل بأن الدولة لا تستطيع فرض شرعية أي تصور معين من السعادة على مواطنيها [31].كما ونجد في تعبيرات كانط ما تدل على حماسته للحرية واستهجانه لكل اشكال العبودية ،وعبر عن ذلك بقوله :"**لا مصيبة عند من تعود على الحرية**

([29]) ترجمة نجيب حصادي .المكتب الوطني للبحث والتطوير Guyer, Paul, 2005. *Kant's System of Nature and Freedom*. Oxford: Oxford UP

([30]) توشار ، جان : تاريخ الفكر السياسي . ص381 .

([31]) ينظر :الكيالي ،عبد الوهاب :موسوعة السياسة .ص74.

اشد هولاً من ان يرى نفسه مُسْلَماً الى من يرغمه على الامتثال لهواه الخاص والعمل بما يريده ذلك الشخص " [32]

3- العقلانية Rational:

وترتبط الحرية في الفكر الليبرالي بالعقل؛ إذ يعد المذهب الليبرالي جزءا من مشروع التنوير، فالفكرة المركزية والرئيسية في رؤية التنوير هي تحرير البشرية من قيود "الخرافة والجهل" وإطلاق العنان لعصر العقل، فنجد من أهم مفكري عصر التنوير الذين اهتموا بالجانب العقلي فكان السمة الغالبة لفلسفاتهم هو:إيمانويل كانط (1724-1804م) بألمانيا الذي أكدت فلسفته العقلية على "الحقائق الرياضية وأشباهها تستمد ضرورتها من تركيب عقولنا الفطرية ، فعقل الإنسان ليس قطعة من الشمع تنفعل بالتجارب الحسية دون إن يملك شيئاً لنفسه ،ولا هو مجرد اسم أطلقناه على مجموعة من الحالات العقلية التي تتابع في سلسلة متلاصقة الحلقات ،ولكنه عضو فعال يتقبل الإحساسات فيشكلها وينسقها كيف يشاء ثم يحولها إلى أفكار ،وهو عضو تأتيه آلاف الآثار الحسية في فوضى ، فيتناولها بالتنظيم حتى تصبح وحدة فكرية متماسكة"[33] ،وهيجل* (1770-1831م)الذي حوت فلسفته على الكثير من الجوانب تعتمد في مجملها على مجموعة معاني منها معنى

(32) بدوي ،عبد الرحمن :إمانويل كانط . ط1 ،الكويت 1977م . ص92.
(33) نقلاً عن : محمود،زكي نجيب : قصة الفلسفة الحديثة ،لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة1936.ص274.
* هيجل وهو فيلسوف مثالي الماني له اثر كبير في اكثر من ميدان من ميادين الفلسفة حيث نجد انه بحث في المنطق والجدل، الوجود والماهية ،الطبيعة ، الانسان والمجتمع ،والاسرة والدولة ...له مؤلفات عديدة منها :الحاوي ،المنطق، علم ظهور العقل. ينظر:كرم ،يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة .ص274 وما بعدها .

الوجود(هو أكثر المعاني تجريداً) ومعنى الماهية[34]،كما نجد إن فلسفته (استنباط المعاني الأولية بالإثبات والنفي والجمع بينهما)ويفسر ذلك في تعبيره :الوجود شيء في كل موجود وبحسب هذا الموجود، إننا نعقله وجود كذا أو كذا من الماهيات ،فإن ما ليس وجوداً من وجه هو وجود من وجه آخر[35] .

وقد أثرت عقلانية عصر التنوير فيفكر جون رولز في كثير من الموضوعات، فهي في المقام الأول دعمت الاعتقاد في مركزية الفرد وحريته، فبقدر عقلانية الإنسان ككائن رشيد يكون قادرا على تحديد مصلحته والسعي وراء منفعته الشخصية. ولا يؤمن الليبراليون بأن الإنسان معصوم من الخطأ، ولكن الليبرالية دعمت الفرد بقوة في مواجهة "الأبوية"*. ورأت أنها لا تمنع الأفراد من اختيارهم الشخصي الحر وحسب، بل إنها لا تساعدهم على التعلم من الأخطاء، كما أنها تتيح لأصحاب السلطة الأبوية إساءة استخدام وضعهم لتحقيق أغراضهم الخاصة.

وقد ورث جون رولز عن العقلانية التنويرية أيضا" إيمانها الشديد بفكرة "التقدم" التي تعني لديهم التوسع في المعرفة فيمكن الناس من خلال الثورة العلمية ليس فقط فهم وتفسير العالم بل تشكيله أيضا للأفضل. وبإيجاز تعطي سلطة العقل الإنسان القدرة على تحمل مسئولية الإنسان للتعبير عن نفسه وحياته وتقرير مصيره، وبذلك تحرر العقلانية الفرد من قبضة "الماضي" ومن ثقل "العادات والتقاليد"، ويتقدم كل جيل عن الجيل الذي سبقه فيزداد ميراث المعرفة والفهم تصاعديا. وهو ما يفسر التأكيد الليبرالي على التعليم، فيمكن للناس

([34]) ينظر :كرم ،يوسف:تاريخ الفلسفة الحديثة .ص275.
([35]) ينظر: المصدر نفسه . ص277-278.
* المقصود بالابوية هنا السلطة الكنسية .

تحسين أوضاعهم من خلال الحصول على المعرفة ، وهجر "الخرافات" و"التعصب"، فالتعليم في حد ذاته خير، فهو وسيلة حيوية للارتقاء والتنمية الذاتية للفرد.

وإذا كان التعليم واسع النطاق فهو يحقق إنجازات تاريخية واجتماعية.ويحمل الليبراليون عموما نظرة تفاؤلية بصدد الطبيعة الإنسانية ويرون الإنسان كائنا عاقلا؛ فإنهم لم يذهبوا إلى حد وصف الإنسان بالمثالية والكمال؛ لأنهم أدركوا جيدا تأثير المصالح الشخصية وصفات الأنانية، وأن النتيجة الحتمية لذلك هي التنافس والصراع؛ لذا يتصارع الأفراد من أجل الموارد النادرة، وتتنافس الأعمال لزيادة الأرباح، وتناضل الأمم من أجل الأمن أو الحصول على ميزة إستراتيجية وهكذا. ولكن يفضل الليبراليون تسوية هذه الصراعات من خلال المناقشة والتفاوض. ومن أهم ميزات العقل أنه يعطي أساسا جيدا لتقييم المطالب والدعاوى المتنافسة إذا كانت منطقية.

ويمكن القول بأن العقلانية هي الاعتقاد بأن العالم لديه تكوين منطقي يمكن كشفه من خلال الممارسة العقلية للفرد والبحث النقدي، ومن حيث النظر المعرفي فالعقلانية هي تدفق المعرفة من العقل باتجاه العالم وليس العكس، والتجربة مجرد أداة.

ومن حيث المبدأ العام تؤكد العقلانية على قدرة الفرد على فهم وتفسير الظواهر وعلى حل المشكلات. لكن العقلانية لا تلقن الغايات لسلوك الإنسان، بل تقترح أساليب

الوصول إلى تلك الغايات دون الاعتماد على العرف أو التقليد أو إتباع الأهواء والرغبات.[36]

1-3 ميادين الليبرالية :

إن الليبرالية (من خلال ما عرضنا له) بدت أنها متداخلة في الكثير من ميادين الحياة وليس كما يبدو من أول وهلة إنها سياسية فحسب ،فهي من ناحية كما وصفناها من قبل كالسحر تسري بسرعة عجيبة في المجتمعات وفي اغلب ميادين الحياة فيها ،ومن ناحية أخرى أثرت منذ ظهور مفاهيمها على الساحة العالمية حيث استثمر كل من عرض لهذه المفاهيم وأعجب بها في ميدان اختصاصه...

ويمكن إن ندرج أدناه جملة من الميادين التي لبست ثوب الليبرالية، ومنها:

1-الليبرالية السياسية :

نقطة البدء في التفكير الليبرالي هي ليس فقط إنها تدعو للديمقراطية بمعنى المشاركة في الحكم ،ولكن نقطة البدء هي انه فكر فردي يرى إن المجتمع لا يعدو إن يكون مجموعة من الأفراد الذي يسعى كل فرد فيها إلى تحقيق ذاته وأهدافه الخاصة.[37] وقد تبنى جون رولز هذا الموقف كأحد اعضاء المذهب الليبرالي. فالديمقراطية هي عمود

([36]) عزة ،هبة رؤوف :الليبرالية ايديلوجيا افسدتها رأس المال ،الجوهر الليبرالي فردانية القيم والتصورات".موقع اسلام اون لاين ،اب 2004 نقلا من الانترنت WWW.ISLAM ON LINE

([37]) ينظر:البيلاوي ،حازم: عن الديموقراطية الليبرالية مجلة افاق الاسلام عدد4، 1994

الليبرالية السياسية الذي يسند خيمتها ،حيث إن الليبرالية تنادي بالفرد وحرية الفرد والديمقراطية هي شكل من أشكال الحرية وفي الوقت نفسه نظام سياسي.

ومن جملة الحريات التي تهبها الديمقراطية للأفراد (حرية الترشيح ، حرية التفكير والتعبير ، حرية الاجتماع ،حرية الاحتجاج ...) كما أعطت جملة أخرى ولكن من الضمانات المانعة من الاعتداء على الأفراد وحرياتهم مثل(ضمان الاتهام ، ضمان التحقيق ،ضمان التنفيذ ، ضمان الدفاع ...) [38] .

وقد اختلف الليبراليون الكلاسيكيون مع الديمقراطيين في من يملك حق التشريع العام ، فالديمقراطيون يرون أن الأكثرية هي التي تقرر وتشرع وتمسك بزمام السلطة. أما الليبراليون فقد اهتموا بحماية الفرد من الأذى، وأن هذه هي مهمة القانون بدل التشديد على حق الآخرين بسبب الأكثرية ، وهذه من نقاط التصادم بينهم"([39]). والليبرالية في الميدان السياسي تنادي بالتقليل من دور الحكومات وتدخلاتها إلى أدنى الحدود [40]، ونجد ذلك من تعريفات الديمقراطية نفسها ومن هذه التعريفات :"شكل من أشكال الديمقراطية الغربية النيابية حيث الممثلين المنتخبين المقرر إن يشكلوا السلطة الخاضعة للدستور الذي يؤكد على حماية الحريات الفردية ،وحقوق الأقليات في المجتمع ..."[41] ، وهذا التعريف متفق مع المفاهيم الليبرالية كثيراً.

([38]) ينظر: قطب ، محمد :مباحث فكرية معاصرة .ط10.دار الشروق.القاهرة-مصر .2008م. ص43.

([39])ينظر: زيادة ،معن :الموسوعة الفلسفية العربية (الجزء الثاني – القسم الثاني). ط1، معهد الانماء العربي، 1988. ص1160 .

([40]) سروش ، عبد الكريم : المرتكزات النظرية لليبرالية ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،تصدر عن مركز دراسات فلسفة الدين والكلام الجديد ،بغداد عدد24-25 .صيف وخريف2003 . ص147 .

([41])ينظر: what-is-a-liberal-democracy.htm. http \\www.wisegeek.com\

ونجد هناك اختلافاً بين الليبرالية (الكلاسيكية و المعاصرة)فيما يخص الموقف في الميدان السياسي حيث في الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات ،اما في الليبرالية الجديدة فيكمن دور الحكومه او الدولة في تنظيم هذه الحريات .

كما نجد إن الليبرالية السياسية تعرض الاستبدادية ،وهي في الوقت نفسه الأساس العقائدي للحكومة التمثيلية ، والديمقراطية البرلمانية [42] .

2- الليبرالية الاقتصادية :

الليبرالية الاقتصادية: " مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية ، ولا وظائف تجارية ، وأنها لا يحقّ لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم. بهذا المعنى يقال غالباً ليبرالية اقتصادية"[43].وعليه من ابرز شعارات الليبرالية الاقتصادية إلغاء مضايقات الدولة ،وضمان امن الثروة . ويقصد بالليبرالية الاقتصادية "البرمجة غير الضرورية وإصدار الأوامر والدساتير العليا ممارسة تصب في الاتجاه الخاطئ وتدخلات السلطة في الخطط الاقتصادية وإلزام التجار بقوانين وتعميمات معينة لا تفيد الفعل الاقتصادي بشئ بل ويقضي عليه "[44].

ويطلق لفظ الليبرالية أيضاً على سياسة اقتصادية نشأت في القرن التاسع عشر متأثرة بآراء آدم سميث بخاصة ، وأكدت على حرية التجارة وحرية المنافسة ، وعارضت تدخل الدولة في الاقتصاد ([45]).

([42]) ينظر توشار ،جان :تاريخ الفكر السياسي ،ترجمة الدكتور علي مقلد ،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان.بلا. ص404 .

([43]) ينظر:لالاند،اندريه: موسوعة لا لاند الفلسفية 726/2.

([44])ينظر: سروش،عبد الكريم : المرتكزات النظرية لليبرالية .ص146 .

والذي يحكم الليبرالية الاقتصادية هو: سوق العرض والطلب ، وان يعمل العامل عمله أو إن يتركه فهو حر ،كما إن صاحب العمل حر في التوظيف وتحديد الأجر .

والليبرالية الاقتصادية وثيقة الصلة بالليبرالية السياسية ، ويعتقد الليبراليون أن الحكومة التي تحكم بالحد الأدنى يكون حكمها هو الأفضل.. ويرون أن الاقتصاد ينظم نفسه بنفسه إذا ما ترك يعمل بمفرده حراً ، ويرون أن تنظيمات الحكومة ليست ضرورية([46]). حيث أصبح الاقتصاد وسيلة سياسية للسيطرة ، ونقل الثقافات الحضارية بين الأمم ، ولهذا فالأقوى اقتصادياً هو الأقوى سياسياً ولهذا اقتنعت الدول الغربية بهذه الفلسفة مع مشاهدتها لآثار الرأسمالية على الشعوب الفقيرة ، ومن خلال اللعبة الاقتصادية يمكن أن تسقط دول ، وتضعف أخرى. (47)

كما إن الليبرالية الاقتصادية تركز على مبدأين : الثروة والملكية ،وهي تعارض السياسة التوجيهية مع استفادتها من أفضليات الدولة ،وهي الأساس العقائدي للرأسمالية . (48)

كما أن دور الدولة في ظل النظرة الجديدة يكون أكبر ، فلها مهمة أساسية هي تحديد الإطار القانوني للمؤسسات التي يدور فيها النشاط الاقتصادي ، وقد حدد منظرو الليبرالية الجديدة ومن ضمنهم جون رولز ،دور الدولة الذي يجب أن تقوم به بما يلي :-

1-أن تعمل كل جهدها ضد التضخم والانكماش.

2-أن تحد بشكل معتدل من سلطة الاحتكار وبشكل تتابعي.

([45]) ينظر: البعلبكي (منير): قاموس المورد القريب. انكليزي- عربي، ط5، بيروت 2004. ص1050.

([46])ينظر :مجموعة من المؤلفين :الموسوعة العربية العالمية.ج 21،ط2.دار ونشر أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،السعودية .1999م.ص248.

([47])السلمي (عبد الرحيم): الليبرالية نشأتها وتطورها ومجالاتها (1، 2).

([48]) ينظر: توشار ،جان :تاريخ الفكر السياسي ،ص 404

3-أن تؤمم فقط الاحتكارات التي لا تمكن للقطاع الخاص القيام بها .

4-أن تتحمل كافة الخدمات العامة.

5-أن تعطي الفرص والموارد بالتساوي.

6-أن تطبق التخطيط ألتأثيري(أي دراسة خطط ذات جانب مؤثر في المجتمع) من اجل الوصول إلى أحسن السبل مؤدية إلى الفائدة الكبرى ، للتقليل من المخاطر التي قد تحدث.

7-أن تطبق التخطيط المركزي عندما يقتضي أن يكون هناك عمل تغير بنائي.

8-أن تتدخل عندما يكون هناك خلل في ميكانيكية السوق([49]).

3-الليبرالية الفكرية :

وتتميز بروح التسامح والمصالحة ، هذه العقلية الليبرالية ليست وقفاً على الليبراليين الذين يبدو بعضهم متشدداً بشكل ملحوظ .[50]

ولعل ابرز واخطر صدام خاضه الليبراليون على المستوى الفكري هو الصدام مع الخطاب الكنسي ،فالكنيسة لها أفكارها التي تدعي إنها مطلقة الصواب وتعمل على بثها في المجتمع وتمنع حق إخضاعها للمناقشة من قبل الجميع ،وهنا اكتسبت الليبرالية أقوى مرتكزاتها واختارت شعار"كن جريئاً في استخدام عقلك ". [51] ويرى مناهضو الليبرالية الفكرية

([49]) ينظر: مقال : في الدولة الليبرالية – مجلة المؤرخ العربي – عدد 35-ص/73.
([50]) المصدر نفسه ،ص404 .
([51]) ينظر: سروش ، عبد الكريم : المرتكزات النظرية لليبرالية .ص149 .

الأساس لليبرالية السياسية فهي تؤصل منذ نشأتها للفوضى الفكرية ،ولهذا فان كل ما يبنى فوقها من منشآت سياسية يؤول أمره إلى الفوضى[52] .

بعد هذا العرض لتعريف الليبرالية واسسها وميادينها كما هو معروف عنها بصورة عامة ،نصل الى مرحلة توجب ايراد رؤية جون رولز لليبرالية ،وعند الدراسة نجد انه ليبرالي من الطراز الاول حيث تتجسد نظرياته النقطة التي اجتمعت عليها اغلب التعارف لليبرالية من حيث إيمانها باولوية الفرد في الحسابات السياسية من حيث الحرية والمساواة باقرانه في الاستحقاقات المعتمدة على مهاراتهم وامتيازاتهم .

كما نجده في مجال الليبرالية الاقتصادية يحد من دور الدولة الى بعض الامور التي تخدم الافراد لاغير . وبالتالي فهو يؤكد على الفردية في الجانب الاقتصادي ايظا ،ومن كل هذا نستخلص رأيه في المجال الفكري حيث يؤكد جون رولز على استخدام العقل في تحديد مصالح الافراد وضمانه

([52]) - كامل ،د:عبد العزيز : دعاة اللبرلة ..عقول محتلة ... ام ولائات مختلة موقع صيد الفوائد .نقلا من الانترنت

http:// www.saaid.net\ mktarat\almani\49.htm . www.saaid. Net

المبحث الثاني

التعرف على الآخر

المبحث الثاني التعرف على الآخر

المطلب الاول :مفهوم الآخر:

جاء في لسان العرب لابن منظور تحديد الغير والآخر كما يلي: « غير حرف من حروف المعاني، تكون نعتا، وبمعنى لا... وقيل غير بمعنى سوى، والجمع أغيار. وهى كلمة يوصف بها ويستثنى ... وتغير الشيء عن حاله تحول ... والغير الاسم من التغير... وتغايرت الأشياء اختلفت» و يأتي « الآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر»[53] .

وجاء في تعريف المنجد في اللغة والأعلام تعريف الغير والآخر على النحو التالي: « غير الشيء حوله وبدل به غيره، جعله غير ما كان.غاير غيارا و مغايرة: بادله ,خالفه، عارضه في البيع، كان غيره. تغير: تغير وتبدل، تغايرت الأشياء اختلفت. الغير(ج) أغيار: الاسم من غير (...) غير تكون بمعنى سوى (...) نحو" جاء غيرهم " أي سواهم (...) وبمعنى لا (...) نحو " فمن اضطر غير باغ ولا عاد " أي لا باغيا (...) الغيرية : خلاف العينية وهى كون كل من الشيئين خلاف الآخر» و « آخر (...) بمعنى غير، ولكن مدلوله خاص بجنس ما تقدمه فلو قلت: " جاءني رجل وآخر معه" لم يكن
الآخر إلا من جنس ما قلته، بخلاف غير فإنها تقع على المغايرة مطلقا "[54]. اما على المستوى الفلسفي فهو احد المفاهيم الاساسية والاولى للفكر فهو بسيط اولي [55] .

([53]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. مج2. دار صادر، بيروت، 1375هـ-1956م.

([54]) معلوف، لويس. المُنجد في اللغة. مطبعة غدير، ط4، إيران، 1423هـ. ص1526.

([55]) لالاند ، اندرية :موسوعة لالاند الفلسفية . ص124 .

اصطلاحا الآخر أو الآخرون هي فكرة أساسية للفلسفة عموما" والفلسفة الحديثة والمعاصرة خصوصا".، ومضادة لمعنى فلسفة الذات. وتشير أو تحاول الإشارة إلى كل ما هو غير المحور المقصود. والمصطلح غالبا ما يعني أيضا كل ما هو غير النفس المستقلة، بمعنى كل ما هو غير نفسي أنا، يُعد من "الآخرين"، وكل فرد فيهم يطلق عليه مصطلح "الآخر". و"الآخر" هنا تعني أيضا أنه كل ما هو مختلف عن الأصل.[56] ولو بحثنا في الفلسفة اليونانية لوجدنا انها لا تهتم موضوع علاقة الموجود بالآخر الموجود حسب مصطلحاتها الوجودية ،حيث تهتم في موضوع المعرفة الوجودية مثلا" بمسألة العلاقة بمثيلتها في (عالم المثل كما هو الحال عند افلاطون)[57]. وفي العصر الحديث تظهر بدايات البحث في هذه العلاقة بشكل واضح ، حيث كانت ديكارت قد تطرق الى هذا الامر من خلال بحثه "الكوجيتو" فمن خلال الشك المنهجي يتوصل الى ان التفكير هو جوهر الذات الانسانية اما وجود الآخر فلا يعدو ان يكون محتملا او افتراضيا"يحتاج الى استدلال العقل وحكمه،ما معناه ان وعي الانا بذاته لا يمر بالضرورة عبر الآخر[58] .في حين نجد ان هيجل يوسس معرفته بالذات من خلال معرفته بالآخر وحجته في ذلك بان الانسان لا يكتمل وعيه بذاته إلا من خلال الاعتراف به من الآخر[59] . وفي الفلسفة المعاصرة نجد سارتر خير من يمثل هذا الاتجاه حيث يرى ان وجود الآخر شرطا" لا مفر منه لوعي الانا بذاته بالرغم من العلاقة الشيئية التي تحكم علاقة الانا بالآخر .[60]

([56]) ويكيبديا ، الموسوعة الحرة ،مصطلح"الآخر "الآخر \ http:\\ ar.Wikipedia.org\wiki
([57])ينظر: امين ،احمد ،زكي نجيب محمود "قصة الفلسفة اليونانية "ط2،القاهرة 1953. ص163.
([58]) ينظر:امين ،احمد،زكي نجيب محمود :قصة الفلسفة الحديثة .القاهرة .1936.ص98 وما بعدها .
([59]) ينظر:كرم ،يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة .ص275ومابعدها .
([60]) ينظر: بوشنسكي.ا.م:الفلسفة الحديثة في اوربا.ترجمة د.عزت قرني ،سلسلة عالم المعرفة .1990.ص235.

التفسير الشخصي لمعنى "الآخر" هو من صلب تعريف وتكوين الذات أو النفس حسب (فلسفة النفس) حيث تحدد الفروقات النسبية بين النفس والكيان "الآخر". وقد استخدم علم الاجتماع هذا المفهوم لفهم المنهجية التي تستثني المجتمعات بعض فئاتها على أنها من "الآخرين "الذين يتصفون بصفات دونية لا تمكنهم من الاختلاط معهم.[61] .فهذه هي الحياة ،قوامها (الآخر) فأن كل مفردة تقابلها مفردة اخرى ،تقابلها على نحو الضد او المغايرة ،على نحو الاختلاف الكلي او الجزئي ،وهكذا الى ما لانهاية ...

إن هذا اللفظ واسع المعنى يشتمل على أنواع متعددة من الموافقة والمخالفة على تعدد درجاتها، وحينئذ لا ينبغي أن يساق الحديث عن "الآخر" مساقاً واحدا.الآخر اذن هوية مستقلة ،هي التي تقرر ،هوية تملك حق الحياة ، وليس لذلك علاقة مصيرية بقبول فكر معين[62] .

يعد مفهوم الاخر احد اكثر المفاهيم حضوراً في عالمنا اليوم .ويجري الحديث عنه في مختلف المجتمعات والثقافات والحضارات . وبات يتصل بالعديد من المجالات والميادين ويتلون بها. ففي المجال السياسي هناك حديث عن الاخر السياسي ،وفي المجال الديني هناك حديث عن الاخر الديني . وكذلك المجال الفلسفي ،والمجال الاقتصادي ،والمجال الاجتماعي ،والمجال الثقافي ..وغيرها[63].

ولاشك ان العولمة والتطورات المذهلة في ثورة المعلومات وشبكات الاعلام وتقنيات الاتصال ،اسهمت بفاعلية كبيرة في إثارة هذا المفهوم ،وتحريكه ولفت الانظار اليه بين

([61]) ينظر: مدكور ،ابراهيم: المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ،ط1، عالم الكتب بيروت ، لبنان ، عام 1979م ، ص133

([62])الشابندر،غالب حسن : الآخر في القرآن،سلسلة ثقافة التسامح،مركز دراسات فلسفة الدين ،بغداد 2005.ص144.

([63])الميلاد ،د.زكي "مفهوم الاخر" 2009\6\19 http\\www.annabaa.org\nbanews\2009\06\190.htm

مختلف المجتمعات والثقافات ؛ذلك لكونه شديد الصلة بمسألة الهوية التي تفجر الحديث عنها مع انبعاث تيار العولمة ،واصبح هناك تلازم في الحديث بين العولمة والهوية.

وفي ظل الانطباعات التي تصور العالم بات شديد التداخل والترابط بين اجزائه المتباعدة ،وتحول الى مايشبه القرية العالمية المتصاغره مع مرور الوقت ،والوضع الذي غير جذرياً منظورات الرؤية لمفهوم الاخر ،فلم يعد الاخر خارج الاسوار المحصنة او ذاك الذي تفصلنا عنه المسافات البعيدة او الذي تحول بيننا وبينه البحار والمحيطات الممتدة ،او... او... .فقد بات الاحتكاك بهذا الاخر يحدث في كل لحظة ،وفي كل مكان ،وبكثير من الوسائط المباشرة وغير المباشرة[64] .

بمعنى اخر ان العولمة (كما نلاحظ خلال العقد الماضي) قد قلبت مفهوم الآخر، فلم تعد ذات الآخر بذات الوضوح الذي كانت تظهر به .فهناك انفتاح شديد وخلط أشد وحالة من الانكماش يحملها المشهد الحضاري العالمي، موضحا أن العالم الخارجي يزداد حضورا في العالم الداخلي في ظل تقاطعات اقتصادية وثقافية تتداخل في إطارها المجتمعات والهويات.

كما ان «التيار الليبرالي ربما هو التيار الوحيد الذي ينادي بتقبل الآخر عن إيمان حقيقي بالمبدأ. التيار الليبرالي لديه استعداد لقبول الجميع، حتى قبول التيار التقليدي، شرط أن يتنازل عن مناداته بقتل أو إرهاب المخالفين له. التيار التقليدي ينفي الآخر بالضرورة، ويرى هذا النفي عقيدة يتقرب إلى الله بتطبيقها. لحل هذا الإشكال لا بد أن يكون هناك قانون يضمن الحريات بالقوة، قانون حريات مدني فوق الجميع، ثم ليقل من شاء ما شاء، فحتى إذا

([64])الميلاد ،د.زكي "مفهوم الاخر" 2009\6\19 http\\www.annabaa.org\nbanews\2009\06\190.htm

لم يقبل التيار التقليدي على مستوى الفكر بالليبرالي مثلا،فإنه يضطر إلى القبول به واقعيا،وعلى مستوى واحد من الحقوق. وهنا تصبح فرصة التعايش أكبر، ولا يعتقد أي فريق أنه المهيمن والقادر على نفي الآخرين"[65]

المطلب الثاني : الآخر في الفكر الفلسفي :

يقول الدكتور ابراهيم مدكور في معجمه الفلسفي« غير : أحد تصورات الفكر الأساسية ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز»[66] ويقول غيره بأن الغير هو آخر الأنا منظورا إليه ليس بوصفه موضوعا بل بوصفه أنا آخر، أو بعبارة سارتر « الغير هو الآخر أي الأنا الذي ليس أنا »[67] فالغير إذن أنا آخر، أنا غيري أنا .

أما الآخر على حد تعبير لالاند في معجمه الفلسفي: أحد المفاهيم الأساسية الأولى للفكر ومن ثم فهو غير قابل للتعريف»[68]

ففي الحضارتان الإغريقية والرومانية، وبقدر ما أنتجت من مباهج المعارف الإنسانية وأسست لها، خصوصاً عند الإغريق، الذين " أنتجوا تجاه أخلاقياً جعل حب الإنسانية) philanthropy (والتعليم أسمى القيم الإنسانية ...وفي التأكيد على نعمة أن يعيش الإنسان

---

(65)كرسون،اندرية :المشكلة الخلقية والفلاسفة،ترجمة عبد الحليم محمود وابو بكرزكري،ط1،دار الاحياء العربي،1946.ص41-43. كذلك: رسل،برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية،ج1،ترجمة زكي نجيب محفوظ،القاهرة ،1957.ص387-388.

(66) ينظر: مدكور،ابراهيم :المعجم الفلسفي . ص133.

(67) كامل ،فؤاد:الغير في فلسفة سارتر ،دار المعارف ،مصر (بلا) . ص23

(68) لالاند ، اندرية : موسوعة لالاند الفلسفية .ص33

وسط أقرانه وكفاحه من اجل الشعور بحب الآخرين والإحساس بقيمة الحياة في وسط جماعة"[69] بقدر ما حافظت على تراتبية نظام الواقع الاجتماعي القائم على العبودية، والذي

كان الآخر / الغير فيه مستعبداً ودونياً ومستلباً لإرادته، وكان بعض ليس بقليل من إنتاجهم الفلسفي والأدبي موظفاً ليتناغم مع ذلك الواقع السيئ، وليجعلوا من نظامهم المعرفي يوتيبياً موغلاً في مثالية مفرطة ليس لها إلا قليل من التماس مع واقعهم، وإن كانوا قد دفعوا التوجه الإنساني في أنظمة المعارف الإنسانية دفعة كبيرة نحو الأمام.ويأتى المفهوم الأولي فلسفياً لمصطلح(الآخر / الغير) من خلال الطابع الأنطلوجي للفلسفة اليونانية والتي رسمت له معنى متقابلاً لمعنى الهوية ، وهو المعيار المحدد لمعنى الكينونة أو ما يميزها عن غيرها ، كما قال بذلك سقراط ، حيث اكد في فلسفته على شعار "اعرف نفسك بنفسك " [70] والتي بصورة او بأخرى تقر بان هناك ذاتاً وفي المقابل هناك آخر .

والذي عززه أرسطو بصياغته المنطقية المعروفة لمبدأ الهوية ، والذي تؤكد على أما أن يكون الشيء هو هو ، وأما ان يكون مخالفاً لذلك[71] . وفى هذا يقول ابن رشد* « إن الذي يقابل الواحد من جهة ما هو هو هي الغيرية » بمعنى أن الشيء الواحد هو هو)الهوية /

([69]) جوزيف فوجت ، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان ، ترجمة د.منيرة كروان ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، عام 1999م ، ص7.

([70])كرم ،يوسف :تاريخ الفلسفة اليونانية . ط3، دار العلم، بيروت ، 1977م .ص64

([71])فخري ،ماجد:تاريخ الفلسفة اليونانية .ص108.

* ابـن رشد:فيلسوف عربي اسلامي، وهومحمد بن احمد الملقب بأبي الوليد ،ولد في مدينة قرطبة سنة520 هـ \1126م. ونشأ في بيت علم وفقه وجاه ،فكان جده قاضي الاندلس ،وكان والده قاضي قرطبة.وعليه كان من الذين تتلمذوا على يد افضل الاساتذة في عصره ؛مما اسهم في بلورة قدراته العلمية والفلسفية ،مما جعله يقضي حياته في العلم والتأليف كما نجده يقدم شروحات على مؤلفات ارسطو وكان ذلك في اربعين مجلداً، كما له مؤلفات عديدة منها على سبيل الايجاز :كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ،كتاب الكشف عن مناهج الادلة في عقائد اهل الملة ،كتاب تهافت التهافت . وغيرها ، كما انه عين قاضياعلى اشبيليا . الحلو،عبده:الوافي في تاريخ الفلسفة العربية،ط1،دار الفكر اللبناني.بيروت لبنان.1995.ص389-390.

العينية) والذي يقابله شيء غيره (الاختلاف / الغيرية)(72). فالآخر إذن هو المخالف للهو، هو المباين للأنا، هو ببساطة أنا آخر، أنا غيري أنا . إذ أن كل أنا هو آخر بالنسبة للآخر وكل آخر هو أنا بالنسبة لذاته.

نعم هذا هو التفسير الذي تطرق اليه الفلاسفة في تحديد الآخر وماهيته ،حيث اننا نلتقي في الوعي _دون ان نبرح الوجود لذاته_بمقومات اخرى تشير الى تركيب وجودي آخر يختلف كل الاختلاف عن الوجود_لذاته ...وباختصار يصبح الوجود لذاته شيئاً اخر غير ذاته(73).

وفي الفلسفة الوسيطة ايظا نجد القديس اوغسطين* قد تحدث باللهجة الذاتية القوية في اعترافاته التي يناجي فيها نفسه او يخاطب ربه(74) .

ونجد دائما ان الوجود لذاته يحيلنا الى الوجود للغير فهما شكلان لاينفصلان من الوجود ولا ينفكان من الاحالة الى بعضهما ،فإذا اردنا ان نفهم احدهما لابد من الاشارة الى الآخر.

وفي الفلسفة الحديثة نجد ديكارت* يؤكد مفارقة الأنا الفردية الواعية، بعيداً عن تدخل الآخر في عمليات البحث الأنطلوجي، وحتى أن البحث عن الآخر يكون استدلالياً أيضاً بعيداً عما يقدمه هو عن نفسه، ويكون الآخر بذلك ملازماً للكوجيتو(75). كما انه عندما بحث في العالم

---

(72)نقلا عن: الحلو،عبده:الوافي في تاريخ الفلسفة العربية. ص389.

(73)نقلا عن: كامل ، فؤاد : الغير في فلسفة سارتر . ص19

* القديس اوغسطين :ولد اوروليوس اوغسطين سنة354م ،في شمال افريقيا في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية الرومانية تواجه مجموعة من الهجمات والضغوط الخارجية ،وقد كان اوغسطين في بداية عهده وثنياً،لكنه اعتنق المسيحية حتى سميه القديس اوغسطين ،وقد قدم القديس اوغسطين معظم افكاره في مجلدة الضخم الذي اسماه "مدينة الله City Of God"،كما نجد له مؤلف اخر يدعى "الاعترافات ". ينظر:بدوي،محمد طه :فلسفة العصور الوسطى ،وكالة المطبوعات ،الكويت بالاشتراك مع دار العلم بيروت .1979.ص38.

(74) ينظر : بدوي،محمد :فلسفة العصور الوسطى .ص42.

*رينيه ديكارت (1596-1650) :ولد في مقاطعة تورين بفرنسا ،وهو احد رواد النهضة الحديثة ،وهو فيلسوف عقلي مثالي عرف عنه صاحب الثنائية الكلاسيكية في الميتافيزيقا ،كما نجد ان وضع قواعد لمنهج عرف فيما بعد ب"المنهج الديكارتي " عمل هذا المنهج على تقييد مذهب ارسطو والنهوض بالعقل الواعي الناضج.وله العديد من المؤلفات منها :مقال في المنهج ،العالم ،مبادئ الفلسفة ،رسالة في انفعالات النفس ،التأملات. ينظر: كرم ، يوسف :تاريخ الفلسفة الحديثة ،القاهرة . 1979. ص58.وكذلك :بلدي ،نجيب: ديكارت،ط2، مصر ص24.

(75) ينظر :كرم ،يوسف:تاريخ الفلسفة الحديثة.ص69.

واثبات وجوده وضع قواعد يمكن من خلالها ذلك ،تمثل بعض هذه القواعد كدليل على تناول ديكارت لموضوع الآخر [76]

أما هيجل(1770-1831) فنحى قليلاً لموضعة الآخر بالقرب من وعي الذات حينما وصل في كتابه الشهير " علم ظهور العقل " إلى النتيجة التالية:" إن الوعي بالذات هو الانعكاس المشتق عن حضور العالم الحسي والعالم المدرك؛ الوعي بالذات ماهيته العود إلى ذاته ابتداء من المغايرة. أنه بما هو وعي بالذات حركة."[77]

وبذلك يكون هيجل أول فيلسوف تجاوز الشعور السلبي باتجاه الآخر، وهشم جدار العزلة الإبستيمولوجية بين الذات وآخرها ؛ وان جاء من بعده أوفياء المدرسة الديكارتية كهوسيرل الذي أصر على ملازمة حضور الآخر في الكوجيتو ؛ فيما ذهب الوجودي سارتر في كتابه(الوجود والعدم) ، إلى" أن الأنا لا يمكن إن توجد إلا في إطار علاقتها مع الآخرين (الوجود مع) . بعد ذلك تشظى هذا المنظور إلى ثنايا الاشتغال الفلسفي العام ، و في جميع مدارات العلوم الفلسفية ، النظرية والعملية ، وانبرى الجميع في البحث المنهجي عن حقيقة حضور الآخر في الأنا ، و باعتبار الغير مصدر ثراء الأنا وينبوعها المتدفق ،" فالمختلف حسب بلانشو سيلان أو نزيف لا ينفذ مجراه "[78]فنجد خير مثال هو الفيلسوف سارتر عندما عبر عن ذلك { الوجود مع } في كتابه (الكينونة والعدم) وذهب إلى كونه لا يعبر عن علاقة

([76]) ينظر:ديكارت :العالم او كتاب النور،ترجمة اميل خوري ،ط1،بيروت 1999. ص32.

([77]) ينظر: هيجل: علم ظهور العقل ، ترجمة : مصطفى صفوان ، ط1،دار الطليعة بيروت 1994م ، ص134

([78]) فيليب مانع ، جيل دولوز أو نسق المتعدد ، ترجمة : عبد العزيز بن عرفة ، مركز الإنماء الحضاري ، دمشق ، سوري ، ط1 عام 2002م ، ص 12.

تبادلية اعترافيه وصداميه بل يعبر عن احد أشكال (التضامن الأنطلوجي) لاستغلال هذا العالم : الآخر له وجود فعلي خارج ذاتي باعتبار ان صورتي تتشكل من خلاله ، فقد بين سارتر أن الإنسان لا يكون إنساناً شريراً أو خيراً أو حسوداً أو حشوماً إلا أذا اعترف له الآخرون بذلك ، فلكي أكون فكرة عن ذاتي لا بد أن أمر

من خلال الآخر".[79] ، وبذلك صار شعاره { الآخرون هم الجحيم } ؛ وقد عارض بيرلوبونتي طرح سارتر بقوة نافياً أن تكون نظرة الغير للأنا تحولها إلى موضوع ، أو أن نظرتنا إليه تحوله إلى موضوع ؛ إلا بالرجوع إلى الذات وعزلتها ؛ علماً بأن الذات يمكن أن تكسر ذلك الحاجز بسعيها نحو التواصل ، وبذلك تكف الأنا عن التعالي ويمكن للغير أن يتواصل معها.

اما الآخر عند جون رولز فقد تناوله خاصة في مؤلفه "قانون الشعوب" حيث يوضح علاقة الليبرالي بغير الليبرالي وماهية الضوابط التي تحكم هذه العلاقة .حيث اعتبر غير الليبرالي هو الآخر ،والآخر في هذه الحالة متعدد الاشكال والانتماءات السياسية ومختلفة الظروف التي تحيط به.. ويحدد جون رولز تبعا"لهذه ا لاختلافات انواع للشعوب غير الليبرالية ،كما ويحدد الية لهذه العلاقة الطرق المثلى برأيه لتفادي الصدام مع هذه الشعوب ،بل بالعكس يعمل على اكتسابها .

([79]) بو غديري ، ياسين :مشكلة الآخر ف الفلسفة المعاصرة ،مجلة كتابات معاصرة ، العدد 37 أيار- حزيران 1999م ص94.

المبحث الثالث

جون رولز (سيرته وأثر عصره)

المطلب الأول : الأثر السياسي

المطلب الثاني : الأثر الاقتصادي

المطلب الثالث : الأثر الثقافي

المبحث الثالث جون رولز :

المطلب الاول: سيرتـــــه(1921–2002م) :

ولد جون رولز في بالتيمور ، ميريلاند ،عام 1921م. وكان والده محاميا بارزا ، والدته رئيس الفصل من رابطة الناخبات. درس رولز في برنستون ، حيث كان يتأثروهو الطالب بـ(فيتجنشتاين) نورمان مالكولم ، وفي جامعة أكسفورد . واول تعيين له هو استاذ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بجامعة كورنيل. تكلم في (1960) رولز ضد تورط الولايات المتحدة في فيتنام. إذ قام رولز بتحليل عيوب في النظام السياسي الأميركي التي من بين اعمالها المحاكمات الظالمة دون النظر الى احوال المواطنين مما دل على السياسة الامريكية العدوانية في الفيتنام وبالتالي قيام حرب فيها.

وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة برينستون في عام 1943. ومن 1943–1945 خدم في غينيا الجديدة ، والفلبين ، وكان في اليابان فرداً اعتيادياً في سلاح المشاة الأميركية ، واصفاً حياته العسكرية في وقت لاحق بأنه "غير المميز متفرد". وعاد الى برينستون في عام 1946 التحق بالدراسات العليا ، وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة في عام 1950.

قبل ان ينضم الى قسم الفلسفة في جامعة هارفارد في عام 1962 ، كان معلما في جامعة برنستون (1950–1952) ، وعمل أستاذاً مساعداً ومشاركاً في الفلسفة في جامعة كورنيل

(1953–1959) ، وأستاذ الفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا(1960–1962). وعين في جامعة كونانت أستاذاً بجامعة هارفارد في عام 1979.[80]

وكان عضوا في رابطة الفلسفية الأمريكية (رئيس ، 1974) ، والأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم ، والرابطة الأمريكية للفلسفة السياسية والقانونية (الرئيس ، 1970–1972) ، والجمعية الأمريكية الفلسفي ، والأكاديمية البريطانية ، و النرويجية أكاديمية العلوم. في عام 1999 ، حصل على وسام العلوم الإنسانية الوطنية من المؤسسة الوطنية للعلوم الإنسانية. وفي25نوفيمبير 2002 اعلنت الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد انه يوم امس مات مااصطلحت هي عليه بـ"الفيلسوف السياسي المؤثر "[81] . وكان رولز زميل في مركز الأخلاقيات واختصاصيون من بدايتها في عام 1986 ، وكان يشارك شخصيا في أعمال المركز حتى مرضه الذي جعل من المشاركة الفعالة أمرا مستحيلا.

بعدها اعتزل بين افراد اسرته حيث له زوجته مارغريت فوكس وارفيلد رولز ، وأربعة أطفال -- آن وارفيلد ، وروبرت لي ، الكسندر إيموري ،و فوكس إليزابيث -- وأربعة أحفاد.

وقد قيل بحقه الكثير مما يثبت ريادته في العصر الحالي في مجال السياسة والاجتماع وغيرهما من المجالات التي خاض فيها رولز وابدع ، وممن اعترف بهذا الدور لرولز رئيس جامعة هارفارد لورنس سومرز الذي قال ، "إنني أشعر بحزن عميق لوفاة جون رولز ، والذي جمع بين حكمة عميقة مع الإنسانية على قدم المساواة عميقة. فبرغم من اننا نجد

([80])كين :جون رولز فيلسوف سياسي مؤثر ، مقال في الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد 25نوفيمبير 2002 http://www.Harvord University Gazette.ar
([81]) المصدر نفسه.

لبعض الفلاسفة الحديثين تأثير على طريقة تفكيرنا حول العدالة.ولكن مع رولز نجد التأثير الاكبر ، و سنستمر في التعلم من نظريته في الأجيال القادمة. " [82]

وقال رئيس قسم الفلسفة توماس سكانلون ، وأستاذ في جامعة اكسفورد للدين ،والطبيعية ، والفلسفة الأخلاقية ، والسياسة المدنية ، انه " تم الاعتراف على نطاق واسع ان جون رولز أعظم فيلسوف سياسي من القرن العشرين . حيث عمل على إحياء وإعادة تشكيل الحقل بأكمله ،ويظهر ذلك من خلال نظريته في العدالة التي مازالت مثاراً للجدل وستبقى في المستقبل . كما كان المعلم الرائع ، الذي ألهم الطلاب بالكثير من المعلومات في العلوم الانسانية ، كما كان زميل سخي دائما". وقال دنيس تومسون ،أستاذ الفلسفة السياسية ومدير مركز جامعة لأخلاقيات واختصاصيون ، وذكر أنه في رأيه رولز "سيتم في الساحة الانسانية لعدة قرون ، جنبا إلى جنب مع هوبز ولوك وروسو ، وكانط ، الخ "[83].

تشارلز فرايد ، أستاذ للقانون في جامعة هارفارد ، وقال عن رولز ، وأضاف "كان شخصية بارزة في الفلسفة السياسية والأخلاقية في النصف الثاني من القرن 20 ، ووضع نهج لمسائل الفلسفة الأخلاقية والسياسية التي كانت موضوعية والتحليلية في الوقت نفسه ، تقترح إجابات محددة لكثير من المسائل. "[84]

([82]) كين :جون رولز فيلسوف سياسي مؤثر ، مقال في الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد 25نوفيمبير 2002 www.Harvord University Gazette

([83]) انظر : Rawlsian Reasonableness and the Creation of Citizens من قبل Thomas Bridges :"جون رولز " نقلا من الانترنت 2010\7\8 http://cepa.newschool.edu/het/profiles/rawls.htm

([84]) كين :جون رولز فيلسوف سياسي مؤثر ، مقال في الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد 25نوفيمبير 2002 www.Harvord University Gazette

هذه الشهادات القيمة من اساتذة عمالقة في اختصاصاتهم المختلفة عن بعضها ان قربت ام بعدت ،لهي دلالة واضحة على الابداع المتميز لجون رولز الذي استمر الى مرضه ثم وفاته يوم 24/نوفيمبير2002 م بأزمة قلبية في منزله في لكسينغتون بولاية ماساشوستس بعد ان تعرض لسلسلة من السكتات الدماغية الموهنة التي تركته في نهاية المطاف غير قادرة على العمل. حيث فارق هذا الرمز الانساني الحياة التي لاينفع معها اية نظريات وانما غالبا ماتسير على هواها فتركها ،وبهذا نكون قد فقدنا عالم نحن جميعاً نشعر بالامتنان العميق له بعد كل ما قدمه للانسانية.

ان نظرة جون رولز لمسائل العدالة الاجتماعية ، وضع له علامة له بين أكبر المنظرين السياسيين في عصرنا،و صاحب تحليلات للأوضاع الحالية ،و في إطار التساؤلات الكبرى في حق العيش في مجتمع تعددي تكشف عن الاستقامة فدخل البحث اعتمادا"على نوعية العقل ، ونحن نشعر بالحزن لمعرفة وفاته ، وهذه هي خسارة جسيمة لجامعة هارفارد ، والفلسفة. "

المطلب الثاني : أعمال رولز

ان المكانة التي حضي بها رولز نبعت من ابداعه العلمي والفكري، وقد تمثل ذلك في مؤلفات له كثيره من اهمها[85] :

- "الخطوط العريضة للإجراء المقرر لأخلاقيات" ، مراجعة فلسفية ،عام 1951.

(85) (85)كين :جون رولز فيلسوف سياسي مؤثر ، مقال في الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد 25نوفيمبير 2002 http://www.Harvord University Gazette.ar

- " مفهومان للقواعد "، مراجعة فلسفية ،عام 1955 .
- "العدالة والإنصاف" ، عام 1957 ، مقال في الفلسفة
- "في حس العدالة" ، 1963 ، مراجعة فلسفية
- "الحرية الدستورية ومفهوم العدالة" عام 1963.
- "الالتزام القانوني واجب الحفاظ على اللعب النظيف" ، عام 1964 ، في القانون والفلسفة
- "عدالة في التوزيع" ، 1967 ، في الفلسفة ، السياسة ، والمجتمع
- "لتبرير العصيان المدني" ، عام 1969 ، في العصيان المدني
- نظرية العدل ، 1971. مؤلف كبير الشأن في عالم السياسة والمجتمع ،وسوف نقف عنده وقفه طويلة في هذا البحث .
- "العدالة والمعاملة بالمثل" ، عام 1971 ، في المنفعة
- "بعض أسباب ماكسيمين الفرقان" ، عام 1974 .
- "الإنصاف إلى الخير" ، ، مراجعة فلسفية عام 1975 .
- "تصور كانط إلى المساواة" ، عام 1975 ، واستعراض كامبردج
- "البنية الأساسية والموضوع." ، عام 1977 .
- "نظرية البنائية في فلسفة كانط الأخلاقية" 1980 ، مجلة الفلسفة
- "والحريات الأساسية وأولوياتها" ، عام 1982 ، محاضرات عن القيم الإنسانية
- "الوحدة الاجتماعية الأساسية والسلع" ، عام 1982 ، في سن ألف وباء المنفعة وما بعدها .

- "الاولوية للحق والأفكار العظيمة." عام 1988 ، والفلسفة والشؤون العامة
- "إن المجال للتوافق وتداخل السياسي" ، عام 1989 ، مراجعة قانون جامعة نيويورك
- "الموضوعات المدرجة في الفلسفة الأخلاقية كانط" ، 1989 .
- مقالة "قانون الشعوب "، 1993 .
- الليبرالية السياسية ، 1993.
- كتاب "قانون الشعوب" ، 1999 .
- مجموعة ورقات ، 1999 .
- محاضرة حول تاريخ الفلسفة الأخلاقية ، مع هيرمان باربرا ، 2000

المطلب الثالث :اثر العصر على فكر رولز

1- الأثر السياسي

اثر الواقع السياسي العالمي بشكل عام ،والواقع الأمريكي بشكل خاص ،على تفكير فيلسوفنا جون رولز،حيث الأحداث العالمية التي واكبت تطور ونشوء رولز من أحداث أوربية ،حروب ،أحداث أسيوية...الخ عملت على تبلور طابع فكري معين في ذهن رولز تمخض هذا الطابع بمؤلفاته وخاصة "نظرية في العدالة " و" قانون الشعوب".

و في عالم اليوم فلدى أوروبا الغربية مجتمعة اقتصاد أضخم من الاقتصاد الأمريكي، ولدى روسيا ترسانة من الأسلحة النووية توازي الترسانة الأمريكية، ولدى اليابان أحد أكثر

اقتصاديات العالم تقدما، كما أن الصين والهند عملاقان يفيقان من سباتهما. من هنا كان بالإمكان أن يتألب بعض من هذه القوى على الأقل لإعادة التوازن إلى موازين القوى العالمية؛ ولكن ذلك لم يحصل. حقا، أعلنت روسيا والصين عن نيتهما إقامة تحالف استراتيجي ولكن فضح بوريس يلتسين وجيانغ زيمنغ أمرهما بالحماسة الزائدة التي أظهرها لإقامة علاقات قوية بالولايات المتحدة خلال زيارة كل منهما لها فتبين أن علاقة كل من الصين وروسيا بالولايات المتحدة يفوق أهمية علاقة كل منهما بالآخر. كما تحاول فرنسا بانتظام تأليب حلفائها الأوروبيين ليؤدوا معا دور التوازن مع الولايات المتحدة، ولكن حلفاء فرنسا، أي الألمان والبريطانيين والإيطاليين وغيرهم من أصدقائها الأوروبيين، يمتنعون في أغلب الأحيان عن مجاراتها.[86]

وفي جنوب الصحراء الأفريقية صارت الخلافات التي قسمت القارة الأفريقية –أي الحرب الأهلية والثورات على سيطرة البيض في روديسيا وفي جنوب أفريقيا ما قبل نيلسون منديلا– جزءا من الماضي. وبانتهاء الحرب الباردة لم يعد للولايات المتحدة رهان عسكري في أفريقيا. وبنجاح الثورات ضد سيطرة البيض، لم تعد الولايات المتحدة مجبرة على الانحياز إلى فريق من الأفارقة وأخذت تعمل على إقامة علاقات قوية بمعظم الدول الرئيسية في أفريقيا واستعمال شتى أساليب لإبعاد نفوذ فرنسا وغيرها من القارة.

فكيف استطاعت الولايات المتحدة تبوء مركز الهيمنة في أوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين وما هو إطار سياستها الخارجية ونظامها ألتحالفي؟ يقول المحلل الألماني جوزيف جوفي في دراسة حديثة إن الولايات المتحدة اتبعت سياسة خارجية مقتبسة عن الطرازين الأوروبيين هما

([86]) عن مجلة Socal Sciences, Academy of SC. Moscow 3 11988;

طراز بريطانيا وطراز ألمانيا البسماركية. فالسياسة البريطانية الخاصة بأوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر قامت على منع قيام أي قوة تتحدى قوة بريطانيا، وذلك بتأليف وتأييد تحالفات إقليمية ضد أي متحد طالع. فقد رأى الإستراتيجيون البريطانيون في ذلك دور "الموازن" (Balancer Role) وأملى عليهم التدخل ضد بروز أي قوة عظمى أخرى من خلال تقديم دعم مالي وعسكري لخصوم تلك الدولة الصاعدة الأخرى. هذه الإستراتيجية ناسبت بريطانيا لأنها جزيرة ذات قوات برية محدودة ولكنها كانت تملك أسطولا بحريا ضخما أمن لها السيطرة على البحار وسمح لها إدارة توازنات إقليمية بمرونة حول العالم. اتبعت الولايات المتحدة إستراتيجية مشابهة بتأييدها التحالفات المعادية لألمانيا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبدعمها منظمة حلف شمال الأطلسي ضد الاتحاد السوفيتي إبان الحرب الباردة، وكذلك بتأييدها اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية ضد القوتين السوفيتية والصينية في أثناء الحرب الباردة أيضا، وبفرضها إسرائيل ضد العرب طوال مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية...الخ. والولايات المتحدة، مثل بريطانيا، تحميها المحيطات من جميع الجهات وليست بحاجة إلى استعمال جيوشها البرية استعمالا مباشرا إلا من وقت إلى آخر. لذلك ركزت على السيطرة على البحار وعلى الجو، وأخيرا على الفضاء أيضا. فعوضا من الدخول المباشر في الصراعات العسكرية فضلت الولايات المتحدة، على غرار بريطانيا، خيار السيطرة على البحار والجو والفضاء واستعمال سيطرتها هذه لخلق توازنات إقليمية في

جميع أنحاء العالم ولمنع أي قوة إقليمية من النمو لتصبح خطرا عالميا على السيطرة الأمريكية.[87]

كل هذه الاوضاع السياسية اثر في فكر جون رولز فنجد نظرياته تمخضت عن هذه التراكمات في فكره ،فكانت عبارة عن نظريات ترسم حلول وطرق لمعالجة هذه الامور الواقعية .

2- الأثر الاقتصادي

لقد أدت الولايات المتحدة دورا رئيسا في دعمها للرأسمالية وفي ظفر هذه الأخيرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين. ففضلا عن كونها طوال مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية أكبر سوق وأكبر دولة مصدرة في العالم مما جعلت من الولايات المتحدة (بناء اقتصاد عالمي رأسمالي)حجر أساس في توجهها على الصعيدين السياسي والاقتصادي الدولي. ولما كانت أكبر دولة مصدرة، لها مصلحة إذا في الإنماء الاقتصادي على الصعيد العالمي لكونه يغذي نموها الاقتصادي. وكي تحافظ على أنظمتها ومؤسساتها الرأسمالية في وجه التهديدات التي تكونها أنظمة اجتماعية اقتصادية أخرى، وأهمها الشيوعية السوفيتية، أنفقت الكثير على انتشار اقتصاديات رأسمالية في بلدان أخرى، وعلى الأخص في عدويها السابقين ألمانيا واليابان، وفي بلدان أخرى في أوروبا الغربية وفي شرق وجنوب شرقي آسيا. فإضافة إلى مشروع مارشال في أوروبا الغربية وإلى المساعدات الضخمة التي قدمتها إلى شرق آسيا،

([87]) هربرت أ. شيار: **المتلاعبون بالعقول**: ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت 105/4.

استعملت الولايات المتحدة مساعداتها الخارجية لمناطق أخرى في العالم النامي تعزيزا للمؤسسات والاقتصاديات الرأسمالية حيثما أمكن ذلك.[88]

رافق هذه الجهود إقامة مؤسسات اقتصادية رأسمالية على نطاق عالمي نتيجة اجتماعات بريتون وودز (Woods Bretton) عام 1947 مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي واتفاقية ألغات (GATT) وغيرها من المؤسسات الاقتصادية العالمية التي تسيطر عليها أمريكا، هذا فضلا عن عشرات الاتفاقات التجارية الثنائية أو متعددة الأطراف مع مختلف دول العالم. ولا ريب في أن الإستراتيجية الاقتصادية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية إستراتيجية ذات طابع عالمي علما بأنها لم تشمل جزءا من العالم ما دامت هناك أنظمة اشتراكية وشيوعية كانت لا تزال في قيد الحياة؛ وبزوال معظمها في السنوات الماضية استطاع النظام الرأسمالي أن يتحول إلى نظام عالمي حقا.[89]

كل هذا الدعم الاقتصادي الأمريكي للرأسمالية (الليبرالية) كان له اثر في الفكر الرولزي ،حيث كانت كل مشاريعه تحث على الرأسمالية ولكن بصورتها الأصلية العقائدية.

3- الأثر الثقافي

يمكن معرفة الأثر الثقافي في الفكر الرولزي من خلال واقعه الأسري حيث مركز والداه الثقافي والمهني والاجتماعي من جهة ،والواقع الأمريكي من جهة أخرى ،حيث إن الولايات

([88])ينظر: عبد الله ،عبد الخالق: العالم المعاصر والصراعات الدولية ،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت 1990. ص155

([89]) ينظر: عبد الله ،عبد الخالق: العالم المعاصر والصراعات الدولية. ص157

المتحدة بلد المهاجرين وهي بالتالي مكونة من مزيج عالمي من المجموعات العرقية و الإثنية والدينية والثقافية؛ كما ليس لها هوية أثنية أو عرقية معينة وليس لها هوية تاريخية أو حضارية عميقة الجذور. لهذه الأسباب من الأسهل على أمريكا أن تسوق عالميا عما هو على ألمانيا مثلا أو اليابان أو بريطانيا أو فرنسا أو الصين أو إيطاليا أو إيران. بمعنى آخر، إنه من حيث العرق أو الإثنية أو الدين أو غيره، باستطاعة أي شخص في العالم أن يخال نفسه أمريكا؛ فهذا يعني، من ناحية التسويق، أنه يمكن استعمال الثقافة الأمريكية مطية للمنتجين والمسوقين العالميين للتعريف بمنتجاتهم في العالم. كما انه لما كانت الولايات المتحدة بلد مهاجرين فمجتمعها منفتح نسبيا وكذلك ثقافتها وأنظمتها إذا ما قوبلت بكبار منافسيها في العالم. لقد استطاعت الولايات المتحدة الاستمرار باجتذابها وامتصاصها أناسا من مختلف أنحاء العالم، وباستثناء تجارة الرقيق الكثيفة من أفريقيا، قدم أكثر الوافدين إلى الولايات المتحدة بملء إرادتهم فامتصهم المجتمع والاقتصاد والنظام السياسي دون إبطاء وارتقى بعضهم إلى مراكز سياسية واقتصادية وحضارية رفيعة. هذا لم يحدث في شرق آسيا أو في أوروبا الغربية حيث لم يسبق أن شاهدت أي منها تجربة مشابهة من حيث حجم الوفادة أو الامتصاص، ذلك أنها مجتمعات وحضارات قديمة أقل تعددا وانفتاحا[90].

([90]) د. عواطف عبد الرحمن: **قضايا التبعية الإعلامية والثقافية،** سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت .ص78.

الفصل الثانـي

الفصل الثاني

المبحث الأول : أفكار رولز في نظرية العدالة

المبحث الثاني : مبادئ العدالة ودورها

تمهيـــد

إن المفاهيم مثل الحرية والمساواة والتضامن ،تجسد بالنسبة الينا المبادئ التي ينبغي على كل مجتمع ان يضعها في حسبانه بغية الوصول الى توزيع عادل للمنافع المادية والمعنوية المشكلة لتراثه المشترك لبني افراده (المجتمع).

لكن السؤال الذي يفرض نفسه و يتمحور حول الاجراء المفترض اتباعه لجهة ارساء معايير مجتمع عادل ،هو كيف يمكننا تحديد هذا التوزيع العادل حسابياً(او رقمياً)؟

يرى رولز بالحساب العقلاني الافراد الذين يسعون الى "تجريد" المواقع التي يشغلونها داخل المجتمع ،ونجد هابرماس يعمل على ابراز الممارسة المعقولة لجماعة معينة يهتم اعضاؤها بالمشاركة في مناقشة ذات طابع علمي على ان كل ماسبق ليس الا رسماً للحدود والنظرية الخاصة بموقع إطار الجدل الحالي ؛لذا لا ينبغي ان ننظر الى المسألة كما لو انها تعني ان هناك تعارضاًبين "السياسة " و " الديموقراطية الاجرئية " ،وذلك عبر افتراض حاجة متبادلة ينبغي لها ان تفصل المعقول عن العقلاني، أي بصورة عامة نجد ان بعد حداثية التي يسودها التعدد الثقافي والعقائدي (المذهبي). ولا سبيل إلى توحيد هذا التعدد سوى بفضل مفهوم العدالة بما هي إنصاف ،وهذا هو مؤلف جون رولز الذي اقام الدنيا وما اقعدها في عالم السياسة والاجتماع ،وعليه سوف يكون "نظرية العدالة "لجون رولز هي محور حديثنا في هذا الجزء من البحث

ومن السمات التي ميزت "نظرية العدالة "من غيرها من المؤلفات التي يزخر بها عالم السياسة عامة والحقل الاكاديمي خاصة ،انها تعمل على ما يمكن أن يراه بعضهم خيرا، قد

يراه الآخرون وَبَالاً وشرا. أما العدالة فتحظى بإجماع الكل. فهي تحافظ على اختلافاتهم دون أن تفضي إلى الانشقاق والتمزق الذي يهدد المجتمعات الليبرالية.

و قد ظل المشتغلون بالفلسفة السياسية في فترة الخمسينات يتابعون انجازات جون رولز وتطويره لنظرية العدالة التي بدأت بمقال له تم نشره في إحدى المجلات الفلسفية، حيث لقي

هذا المقال حجما كبيرا من المناقشات والتعليقات والمتابعات في الوقت الذي كان فيه رولز يعمل على تطوير أفكاره الأساسية من خلال عدد من المقالات والدراسات، إلى أن أصدر في عام 1971 كتابه الشهير "نظرية العدالة"، وحينذاك كان اسم جون رولز لا يحظى بشهرة كبيرة في الأوساط الأكاديمية لكنه بعد إصدار الكتاب أصبح أحد ألمع أعلام الفلسفة المعاصرة لدى جماهير المثقفين في معظم أنحاء العالم.

وقد تم الاحتفاء بهذا الكتاب من طرف الأساتذة البارزين في ميدان الفلسفة السياسية واعتبروه حدثا فريدا من نوعه، بل وصفوه أنه تحفة فريدة، وإسهام منقطع النظير في ميدان الفلسفة السياسية، بل إن هناك من المهتمين من ربط بين هذا الكتاب وبين الأعمال الخالدة لأفلاطون، وجون ستيوارت مل، و ايمانويل كانط.

فضلا عن هذا فقد أُختير هذا الكتاب في باب عرض الكتب الجديدة بمجلة نيويورك تايمز كواحد من أهم خمسة كتب صدرت عام 1971، ومن ثم اعتبر الفيلسوف الأمريكي جون رولز 1921 – 2002 من أهم المنظرين للعدالة كنظرية ومفهوم، ذلك انه عندما ترجم مؤلفه لأول مرة أحدث ذلك نقاشا محتدما في العالم القاري، ونفس الشيء حصل في العالم الانكلوسكسوني، بحيث أثارت "نظرية العدالة" نقاشات كبيرة يصعب الإحاطة بها، إذ

في الولايات المتحدة الأمريكية كانت الفلسفة الأكثر شيوعاً و رواجاً، بالإضافة إلى هذا لا يمكن إحصاء الكتب والمقالات التي كتبت عن هذه النظرية.

يطرح الكاتب مشروعا نظريا لتجديد الليبرالية، ولإعادة التفكير في مستقبل الديمقراطية ذات المنحى الليبرالي في المجتمعات المابعد–حداثية **(Spost-moderns)** المركبة هوياتيا

والمتعددة ثقافيا **(Multiculturalism)** وما تمخضت عنه أزمة وصراع بين الحريات والمساواة **(Egalitarism ,Libertinism)**ومن ثمة رصد الاختلالات التي تخترق الجسم الاجتماعي الليبرالي . سعى هذا المشروع عند رولز الى خلق توازنات جديدة بين الحرية والمساواة على قواعد اخلاقية للعدالة كإنصاف .

المبحث الاول

افكار رولز في نظرية العدالة

المطلب الأول : المجتمع بوصفه نظاماً منصفاً من التعاون

المطلب الثاني : فكرة مجتمع حسن التنظيم

المطلب الثالث : فكرة البنية الاساسية

المطلب الرابع : فكرة الوضع الاصلي

المطلب الخامس : فكرة المواطنين المنخرطين في التعاون

المطلب السادس : فكرة التسويغ العام

المبحث الأول

افكار رولز في نظرية العدالة

عند دراستنا كتاب " نظرية العدالة" نجد انه ناقش المفاهيم المطروحة فيه ضمن افكار متسلسله ومترابطة مع بعضها بشكل لا يمكن دراستها الا سويه ، وهي بدورها توضح مراد جون رولز من هذه النظرية ،هذه الافكار يستخدمها رولز من اجل اضفاء بنية على "العدالة كأنصاف" ككل افكار اساسية . ومن اجل بيان ماهية هذا الكتاب لابد من

بيان نبذة عن هذه الافكار في هذا المبحث ، لنستطيع فهم آليه تطبيق هذه النظرية في المبحث القادم . ولكن اولا" يجب توضيح ملامح العدالة عند رولز ألا و هي :

1- كونها مفهوماً أخلاقياً ، فهي تصاغ لموضوع معين هو البنية الاساسية لمجتمع ديموقراطي ، فهي لا تنطبق مباشرة على الجمعيات والجماعات داخل المجتمع ، ولا نوسعها لربطها بمبادئ العدالة المحلية وشمول العلاقات بين الشعوب الا فيما بعد[91] .

2- إنَ قبول هذا المفهوم لا يفترض قبول أي عقيدة شاملة خاصة ، فالمفهوم السياسي يقدم نفسه كمفهوم معقول للبنية الأساسية وحدها ، كما تعبر مبادؤه عن مجموعة من القيم السياسية التي تنطبق على تلك البنية بصورة مميزة .[92]

3- ان يصاغ المفهوم السياسي للعدالة حصرياً ، ما أمكن ذلك ، بلغة الأفكار الأساسية المألوفة المستمدة من – او المتضمنة في – الثقافة السياسية لمجتمع ديمقراطي . [93]

المطلب الأول : المجتمع بوصفه نظاماً منصفاً من التعاون

يرى رولز أن هذه الفكرة ،أي فكرة المجتمع بوصفه نظاماً منصفاً من التعاون الاجتماعي الزمني من جيل الى الجيل الذي يليه ، وفي الوقت نفسه هي خطوة لتطوير مسعانا نحو مفهوم سياسي لعدالة نظام ديموقراطي . [94]

([91]) ينظر:رولز ،جون : العدالة كأنصاف ، اعادة صياغه . ترجمة : د. حيدر حاج اسماعيل . المنظمة العربية للترجمة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ديسيمبر 2009. ص124 .

([92]) المصدر نفسه .ص125

([93]) ينظر:رولز ، جون :العدالة كأنصاف. ص126

([94]) المصدر نفسه . ص92 .

ويرى رولز من خلال نظرته الى المجتمع على انه منظم متعاون ، حقيقة هي ان المواطنين فيه لا يعدون نظامهم الاجتماعي نظاما طبيعياً ثابتاً ، او بنية من المؤسسات تسوغها عقائد دينية او مبادئ تراتبية تعبَر عن قيم ارستقراطية[95] . ومن ناحية أخرى يجعل رولز للتعاون الحاصل في المجتمع شروطاً من اجل ان تكون منصفة بين افراد المجتمع الذين يكونون عبارة عن اشخاص احراراً متساويين ، ومن بين هذه الشروط فكرة المبادلة بالمثل : أي يستفيد جميع الذين يؤدون ادوارهم كما تتطلب القواعد المعروفة بحسب ما حدد في معيار عام ومتفق عليه . [96]

كما يرى جون رولز ان مبادئ العدالة (التي سنتطرق اليها في موضع اخر من هذا الفصل) لها دور في تحديد الشروط المنصفة للتعاون .

ثم يطرح رولز سؤالاً أساسياً للفلسفة السياسية للنظام الديموقراطي الدستوري ، وهو : ما هو المفهوم السياسي للعدالة الاكثر مقبولية والذي يتعيين الشروط المنصفة للتعاون بين المواطنين المعتبرين احراراً و معقولين وعقلانيين ؟

([95]) ريكور،بول :العادل ،ج1 ترجمة جماعة من المترجمين ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".تونس(بلا)، ص120–121.

([96]) ينظر:رولز ، جون: العدالة كأنصاف . ص93 .وكذلك: قربان ،د.ملحم: قضايا الفكر السياسي –العدالة– ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت 1992. ص510.

ونـاقش رولـز مفهـوم العقلانيـين والمعقـولين والفـرق بينهمـا، حيـث ان المعقـول (Reasonable) والعقلانـي (Rational) همـا فكرتـان اساسيتان ومتكاملتـان تـدخلان فـي الفكرة الجوهرية للمجتمع باعتباره نظاماً منصفاً من التعاون الاجتماعي .

فـالمعقول هـو الشـخص الـذي يقتـرح " المبـادئ التـي يحتـاج اليهـا لتعيين مـا يمكـن ان يـراه الجميع شروطاً منصفه للتعاون ، او تكونوا راضيين بالمبادئ عندما يقترحها الآخرون"[97].

وبالتالي فكل ماهو ليس بـ(معقول) فهو،عقلانـي ويقصـد بـه الشـخص ذو السلطة السياسية العليا او الشخص الذي يكون في موضع ذي ظروف اوفر حظاًمن ظروف غيره.

المطلب الثاني : فكرة مجتمع حسن التنظيم

ويقصـد بـه المجتمـع المنظم بكفاءة مفهوم العدالـة ،و كمـا سبق واشرنا الـى ان هذه الافكار مسلسلة مع بعضها ،هنا نرى رولز قد اخذ نهج فكرته من فكرة العقد الاجتماعي في

العصر الحديث ، حيث نجد ان الفكرة الاساسية لمجتمع حسن النتظيم تستخدم لتعيين الفكرة المركزية المنظمة للمجتمع باعتباره نظام تعاون منصف . [98]

ان الفائدة التي يضعها رولز من فكرته عن (مجتمع حسن التنظيم) هي :

1- ان هذا المجتمع يقبل كل شخص يتمتع بالشروط الموضوعه من قبل المفهوم السياسـي للعدالة ، و ان هذا القبول هو اتفاق عام .

([97]) ينظر:رولز ،جون : العدالة كأنصاف. ص94 .

([98]) ينظر:رولز ، جون : العدالة كأنصاف. ص96 .

2- البنية الاساسية للمجتمع هي فكرة ذات معرفة عمومية ،او يعتقد بوجاهتها لتحقيق مبادئ العدالة .

3- ان للمواطنين حساً فعَالاً بالعدالة ،حيث يمكنهم ان يفهموا ويطبقوا المبادئ على العموم ، كما ان المواطنيين بفهمهم الصحيح هذا للعدالة ومبادئها ، يمكنهم ان يقاضوا مؤسساتهم السياسية بكل ما له علاقة بحقوقهم السياسية .[99]

كما نجد ان لفكرة مجتمع حسن التنظيم معنيين ، هما:

- المعنى العام الذي هو الحسن النتظيم منظم تنظيماً فعَالاً بواسطة مفهوم سياسي عام للعدالة .

- المعنى الخاص وهو مجتمع حسن التنظيم خاص بمفهوم خاص للعدالة ،ويعرفون ان كل الاخرين يقبلون المفهوم ذاته .[100]

من ذلك نصل الى عدم واقعية هذا المشروع عند رولز ،حيث يصرح هو نفسه بذلك ، وخير دليل ان كل بنوده الرئيسية والفرعية ،تدل على ان هذا المشروع هو عبارة عن نظرية وبتعبير

رولز انها تصلح لكل زمان ومكان إلا ان ذلك لايغير شيئاً مما هي عليه من جمود النظرية ،نرى من جانب اخر ان حجة المدافعين عن رولز يعدون انه مشروع واقعي على اعتماد انها بالتالي تسن القوانين وفقاً لهذه النظرية ،فهي واقعية .

المطلب الثالث : فكرة البنية الاساسية

([99]) المصدر نفسه . ص97 .

([100]) المصدر نفسه . ص98.

وهذه من اهم الافكار التي تكون لكل شيء ،ألا وهي (البنية الاساسية)، في محل حديثنا عن نظرية جون رولز ، فيقصد بها البنية الاساسية لمجتمع حسن التنظيم . وتؤلف البنية الاساسية للمجتمع الطريقة التي تلائم المؤسسات السياسية والاجتماعية الرئيسية فتدخل في نظام تعاون اجتماعي ، وطريقة تعيينها الحقوق والواجبات الاساسية ، وتنظيمها لتقسيم الفوائد التي تنتج من التعاون الاجتماعي عبر الزمن . [101]

ولأهمية البنية الأساسية فإنها ستكون محور دراستنا ، حيث نجد ان مبادئ العدالة كأنصاف هي التي تنظم هذه البنية ، ولان العدالة تبدأ بالحالة الخاصة لبنية الاساسية ، ولكن هذا لايعني شرط ان تطبق على المؤسسات ولا تُنظم مؤسسات المجتمع وجمعياته من الداخل ، ويبدو هذا واضحاً في معظم الحالات ، حيث تعمل مبادئ العدالة والحريات السياسية فيها على تنظيم النظام الداخلي للكنائس والجامعات ،وسنجد ان احد مبادئ العدالة وبالتحديد مبدأ

الاختلاف (سنأتي على بيانه لاحقا) ان يرسم للوالدين كيفية معاملتهما لأولادهما ، او توزيع ثروة الاسرة عليهم .

وبالرغم من تحديد مبادئ العدالة لهذه الحدود للمؤسسات داخل البنية الاساسية ، فان لهذ المؤسسات مبادئ متمايزة تحكمها بالنظر الى اهدافها ومقاصدها المختلفة ومتطلباتها الخاصة.

المطلب الرابع: فكرة الوضع الاصلي

([101])ينظر :رولز ، جون : العدالة كأنصاف. ص98-99 . كذلك: فارلي،كولن:مقدمه في النظرية السياسية المعاصرة. ترجمة د.محمد زاهي بشير المغيربي ود.نجيب المحجوب الحصادي ،ط1،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي 2008.ص38.

وهذه الفكرة هي احد المفاصل الرئيسة في بنية العدالة إنصافاً أساسية ، إذ (كما سنبين في حينه) لايمكن أن نصف ماهية نظرية رولز مالم يتم التطرق الى فكرة الوضع الاصلي .

إن فكرة الوضع الاصلي تثير سؤالاً ،ألا وهو :كيف يمكن توسيع فكرة الاتفاق المنصف لتطبق مبادئ العدالة السياسية لبنية الاساسية ؟

كما إننا نجد ان فكرة الوضع الاصلي هي اكثر ما يذكرنا بنظرية " العقد الاجتماعي **Social Contract** " ، حيث نجد فيه نفس الافتراضات الاولية ونفس مميزاتها ،من حيث انها مجرد افتراضات ليس إلا ، كما أنها غير تاريخيه بالمرة ، بل مجرد افتراضات من اجل اكمال تصوير النظرية .فهي تناظر الحالة الطبيعية في نظرية العقد الاجتماعي .

باختصار يمكن القول ، إن الوضع الاصلي يجب فهمه على انه وسيلة تمثيل ، وباعتباره كذلك ، هو صياغة لمعتقداتنا كأشخاص معقولين بوصفها الاطراف (حيث كل واحد منها

مسؤول عن المصالح الاساسية للمواطن الحر والمتساوي مع غيره بأنها متموضعة بصورة منصفة ، وانها ستصل الى اتفاق خاضع لقيود مناسبة عامة على اسباب لمصلحة مبادئ العدالة السياسية[102] .

كل هذا عبارة عن نبذة عن الوضع الاصلي وسيتم عرضة بالتفصيل في المبحث القادم .

وبهذا يكون على الاطراف في الوضع الاصلي مهمتان :

([102]) ينظر:رولز ، جون : العدالة كأنصاف.ص111-112 .

1- اختيار المبادئ التي يتوجب ان تحكم بنية المجتمع .

2- اختيار المبادئ التي يتوجب تطبيقها على الافراد .

المطلب الخامس : فكرة المواطنين المنخرطين في التعاون

يعد جون رولز إن المواطنين المندرجين في "العدالة كأنصاف" هم عبارة عن مواطنيين احرار متساويين (كما سبق وذكرنا) ومنخرطيين في التعاون الاجتماعي ، وعليه هم يتمتعون "بقوتين اخلاقيتين " ، وهما :

1- قدرة الحس بالعدالة : وهي القدرة على الفهم والعمل والتطبيق ، انطلاقاً من مبادئ العدالة السياسية التي تعين الشروط المنصفة للتعاون الاجتماعي . [103]

2- القدرة على تحصيل مفهوم للخير ،ومراجعته ، ومتابعته العقلانية . وهذا المفهوم هو مجموعة منظمة من الغايات النهائية والمقاصد التي تعين مفهوم الشخص لما هو قيم في الحياة الإنسانية أو لما يعد حياة ذات قيمة كاملة .[104]

ومن يتمتع بهاتين القوتين الاخلاقيتين ،فانه سوف يعمل على احترام الشروط المنصفة للتعاون ؛لانها تدور في مصلحته ومصلحة المجتمع .

([103]) المصدر نفسه . ص112 .

([104]) ينظر:رولز ، جون :العدالة كأنصاف. ص114.و فارلي،كولن:مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة . ص40.

ونجد رولز يقوم بتحديد مفهوم الشخص ، ويؤكد انه ليس مفهوم من ميتافيزيقا ، او من فلسفة عقل ، او من الباراسيكلوجيا ، فعلاقته بمفاهيم الذات التي تناقش في الانظمة المعرفية،علاقة ضعيفة [105] . ذلك بأن مفهوم الشخص قد أنشئ بالطريقة التي يعد فيها المواطنون في الثقافة السياسية ، وفي تقاليد التفسير التاريخية لتلك النصوص .

ثم يأتي جون رولز ليبين (ماذا يعني بالاشخاص المتساويين ؟) حيث يعدهم الذين يتمتعون بالحد الادنى الجوهري بالقوى الاخلاقية الضرورية للانخراط في تعاون اجتماعي لمدى حياة كاملة وللمشاركة في المجتمع كمواطنين متساويين[106].

كما نجد ان رولز يميز بين المجتمع الديموقراطي و المتحدات* بداخله ضمن تعريفه للمتساويين ، فيقول :

" في المجتمع السياسي الديموقراطي ، لاوجود لهذه القيم المشتركة والغايات لاعضاء المتحد الواحد ،منفكة عن تلك التي تقع تحت عنوان المفهوم السياسي للعدالة ذاته والمرتبطة بهذا المفهوم .

فمواطنو مجتمع حسن التنظيم يؤكدون الدستور وقيمه السياسية كما هما متحققان في مؤسساتهم ويشتركون في الغاية التي هي توفير العدالة لبعضهم البعض الاخر كما تقتضي ترتيبات المجتمع . "[107]

([105]) ينظر:رولز ،جون : العدالة كأنصاف. ص113 .

([106]) فارلي،كولن: مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة. ص42-43.

* ويقصد بالمتحدات الجمعيات التي تتجاوز الحدود السياسية ، ويتوحد اعضاء المتحد اجتماعياً في نضالهم لقيم مشتركة معينة وغايات غير اقتصادية مما يؤدي الى دعمهم للجمعية وربطهم بها جزئياً.

([107]) ينظر:رولز ، جون :العدالة كأنصاف. . ص114 .

من هنا نصل إلى أن رولز يؤمن بأن للناس مؤسسات خاصة بهم كالكنائس والجامعات ،مثلاً، وينتمون اليها ولكنه يفسر ذلك في نظريته بـ" **اننا نولد في مجتمع ، وقد نولد في متحدات أيضا ، وفي أديان وثقافات متمايزة ، مع ذلك وحدة المجتمع وبواسطة صورة حكمه السياسي وقوانينه يمارس سلطة قمعيه .من جهه اخرى اننا يمكن ان نغادر متحداتنا بأرادتنا ، لكن لا يمكن ان نتخلي عن مجتمعنا السياسي طوعاً** " [108] .

ثم يأتي جون رولز على تكملة تعاريفه ، ويصل الى تعريف الاحرار ، ويجد رولز ان المواطنين يعدون أحرارا من وجهين :

<u>أولا</u>: المواطنون أحرار بمعنى انهم يتصورون انفسهم والاخرين بوصفهم يحوزون على القوة الاخلاقية القادرة على تكوين مفهوم للخير .[109]

وهذا يعني انهم مواطنون قادرون على مراجعة وتغيير هذا المفهوم على اسس معقولة وعقلانية ، ويحق للمواطنين بوصفهم أشخاصاً أحراراً أن ينظروا إلى أشخاصهم مستقلين عن أي مفهوم خاص للخير او ترسيمة غايات نهائية ، وغير متطابقين مع اي منهما . واستناداًالى قوتهم الاخلاقية القادرة على تشكيل وتنقيح مفهوم الخير والنضال العقلي في سبيله ، فإن هويتهم العامة او القانونية كأشخاص احرار لا تتأثر بالمتغيرات في مفهومهم المحدود للخير عبر الزمن .[110]

([108]) المصدر نفسه. ص115 .

([109]) المصدر نفسه. ص116.

([110]) ينظر:رولز ، جون :العدالة كأنصاف. .ص116– 117 .

ثانياً : المواطنون أحرارٌ بمعنى إنهم يحسبون أنفسهم مصادر التصديق الاصلية الذاتية على المطالب الصحيحة ، أي إنهم يعدون أنفسهم مؤهلين لمطالبة مؤسساتهم بالأخذ بمفاهيمهم للخير (بشرط ان تقع هذه المفاهيم في المجال الذي يسمح به المفهوم العام للعدالة) .[111]

المطلب السادس : فكرة التسويغ العام

تترافق هذه الفكرة مع فكرة(المجتمع حسن التنظيم) ؛لان مثل هذا المجتمع منظم تنظيماً فعَالاً بتصور للعدالة معترف به وعام .

كما نجد إن الصفة الجوهرية لمجتمع حسن التنظيم تتمثل في ان مفهومه العام للعدالة السياسية ينشئ اساساً مشتركاً يعتمده المواطنون لكي يسوغوا واحدهم للآخر بأحكامهم الاساسية .

وعليه نصل إلى أن جون رولز يعد التسويغ موجهاً إلى الآخرين الذين لا يتفقون معنا ، وإذا لم يوجد نزاع في الحكم حول مسائل العدالة السياسية – أي الاحكام المتعلقة بعدالة مبادئ ومعايير معينة ، ومؤسسات وخطط ، وما شابه – فلن يكون هناك ما يقتضي التسويغ.

وتسويغنا لاحكامنا السياسية للآخرين معناه إقناعهم بالاعتراف بها بواسطة العقل العام، أي بطرائق التفكير والاستنباط الملائمة للمسائل السياسية الجوهرية ، وباللجوء الى المعتقدات ، والاسس ، والقيم السياسية . وينطلق التسويغ العام من اجماع ما : أي من مقدمات يُتوقع ان

([111]) فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة.ص50.

يشارك بها ويصادق عليها كل الأطراف المختلفة ، على افتراض انها حرة و متساوية و قادرة على التفكير . [112]

ومسألة إن تتفق جميع الاطراف السياسية بشكل كامل على جميع المسائل السياسية أمرٌ مبالغٌ به . فالهدف العملي هو تضييق الاختلاف ، على الاقل ، بالنسبة الى النزاعات الجدلية الانقسامية ، وخاصة تلك التي تشمل مبادئ القانون الاساسي الجوهرية ؛ ذلك لان الحاجة الملحة العظمى هي الاجماع على تلك المبادئ الجوهرية .[113]

ونجد إن من الأهداف الرئيسة للتسويغ العام هو المحافظة على شروط التعاون الاجتماعي الفعَال والديموقراطي ، على اساس الاحترام المتبادل بين المواطنين الاحرار والمتساوين .

وفكرة التسويغ العام تؤدي الى قضيتان تتعلقان بالجانب السياسي لمعنى العدالة .هما :

1- تتعلق هذة الفكرة بمفهوم سياسي للعدالة .

2-تتعلق بعقيدة شاملة ، دينية او فلسفية او اخلاقية ، حيث تحاول هذه العقيدة ان تبين اي احكام سياسية هي صادقة.

والمذهب الليبرالي لا يعتمد على اية عقيدة شاملة . ومجمل هاتين الفكرتين هما يمثلان فكرة متعلقة بالتسويغ العام ، يمكن نسميها "فكرة الثبات الفكري"

وعندما ننطلق من الافكار الاساسية المتضمنة في الثقافة السياسية ،اساس عام للتسويغ يمكن ان يصادق عليه جميع المواطنين المعقولين والعقلانيين انطلاقاً من عقائدهم الشاملة

([112]) ينظر:رولز ، جون :العدالة كأنصاف. ص125 .

([113]) المصدر نفسه .ص126

الذاتية . وإذا ما تحقق هذا ،نحصل على إجماع متشابك لعقائد معقولة ،وهذه هي الفكرة الثانية المتعلقة بالتسويع العام هي ما تسمى " فكرة الاجماع المتشابك " . [114] وهذه الفكرة تعني ان للمواطنيين نظرات دينية وفلسفية واخلاقية متنازعة لذا فهم يؤكدون المفهوم السياسي عبرعقائد شاملة مختلفة ومتعارضة اي ان المفهوم السياسي مؤيد من العقائد المعقولة الدينية والفلسفية و الاخلاقية رغم تعارضها والتي تدوم عبر الزمن من جيل الى جيل .

المبحث الثاني

مبادئ العدالة و دورها

المطلب الأول : الوضع الأصلي وحجاب الجهالة

---

(114) ينظر:رولز ،جون : العدالة كأنصاف. ص127- 128 .

المطلب الثاني : تحديد مبدأ العدالة

المطلب الثالث :أنواع العدالة المقصودة عند رولز

المطلب الرابع : الفصل بين الحق والخير

المطلب الخامس : معنى الاستقرار الرولزي

المطلب السادس : فكرة العقل العام

المبحث الثانــي

مبادئ العدالة ودورها

إن مدار نظرية العدالة هو معالجة الانحرافات (Derives) التي آلت إليها الليبرالية السياسية، والتشوهات التي نالت من الديمقراطية الليبرالية، والمخاطر التي تتربص بالحداثة السياسية في عالمنا المعاصر، وكلها بادية للعيان في تجلياتها المختلفة: تعاظم الأنانية وتضخم الفر دانية الاستحواذية (Egoism possessive) وتفكك الأواصر الاجتماعية وانحسار مفهوم المواطنة واستشراء اللامبالاة السياسية (Depolarization)

وتضخم الحرية على حساب المساواة. كلها انحرافات تجعل نهج الليبرالية السياسية محفوفا بالمخاطر.

المطلب الأول : الوضع الأصلي وحجاب الجهالة The Original Position and Veil of Ignorance

انطلق جون رولز في عرض نظريته من وضع افتراضي ، فقد تخيل تجمع أشخاص أحرار اجتمعوا لاختيار القواعد والمبادئ التي ينبغي إن تقود بنية المجتمع ،

وخاصة توزيع الخيرات الأساسية (الحقوق ، الحريات ، الثروات ،الخ)و إعادة هيكلة المكاسب والتكاليف التي تنجم عن التعاون الاجتماعي . [115]

إن هذا الافتراض هو تصور جديد للعلاقة الاجتماعية الأساسية فوفقاً لهذه العلاقة التعاونية تدخل البنى الأساسية للمجتمع أطرافا في مغامرة من اجل المنفعة المتبادلة . وهذا ما يشترك فيه رولز مع فلاسفة العقد الاجتماعي .[116]

فضلاً عن ذلك فإن رولز لا يهتم ، مثل أصحاب العقد الاجتماعي بالانتقال من الحالة الطبيعية أو البدائية إلى الحالة الاجتماعية ،فالأمر عنده لا يتعلق أبدا بأي خروج من

([115]) رولز ،جون : العدالة كإنصاف .ص109 .

([116]) ريكور ،بول : العادل . ص120- 121 .

وضعية إلى أخرى [117]، بل يقترب من كانط أكثر منه إلى هؤلاء(اصحاب العقد الاجتماعي)، فلا يستبعد الملامح العارضة للإنسان التي تصل إلي مجموعة من الرغبات والنزوات التي تجعله يكون نوعا معينا من المجتمعات، ويشكل بنية تنظيرية تواجهنا بمهمة تحديد ما هي المبادئ العامة التي يمكن أن نلجأ إليها عندما لا نستطيع الاتفاق على غايات ملموسة محددة .

وإن المساهمين من الناس في " الوضع الأصلي " تكون لهم شروط وضوابط معينة ، وفي ظل غياب أي ضغط أو أكراه خاصة وان المبادئ التي سيتفقون عليها ستكون ملزمة على الجميع ، وبالتالي يجب إن يكونوا مقتنعين تمام الإقناع حتى يحترم الناس انجازهم كما

يحترمونهم ، ويعملوا على إمكانية تطبيقها على ارض الواقع . [118] والشروط ليست ببعيدة عن المشهد المألوف الذي تحدثت عنه "نظرية العقد الاجتماعي " ، ومن تلك الشروط :

1- ان يتميز المفاوضون بالعقلانية والتنوير.

2- إن يتجاوزوا مرحلة القصور والوصاية المفروضة عليهم من الخارج ؛ لان القاصرين لا يستطيعون التمييز ،ويعجزون عن تحديد أهدافهم الحقيقية و المضي فيها قدماً.ومرحلة القصور والوصاية هذه سبق كانط فيها جون رولز *.

3- ينبغي إن يكون لكل منهم خطة عقلانية للحياة ورؤية فريدة للوجود .

([117])ينظر: بوزيد ،بومدين : فلسفة العدالة في عصر العولمة ،ط1 ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت 2009 . ص143-144 .

([118]) ينظر: كرسبني ،انطوني وكيت مينوج : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة. ص139. و فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة.ص44.

*راجع مقالة التنوير لكانط .

4- إن يتمتعوا بثقافة عالية ومتعمقة تمكنهم من تحديد المقاصد ومن إتباع أحسن الوسائل الممكنة لتحقيق الغايات والوصول إلى هذه المقاصد. [119]

رولز يطرح بعداً جديداً في نظريته، إنه ما سماه بـ"**حجاب الجهالة** " إلا إن الأشخاص المتفاوضين الذين تصورهم رولز وقد اجتمعوا ليتوصلوا إلى مبادئ للعدل الذي سيتحكم بنشاطهم مستقبلا، يجهلون في نفس الوقت كل شيء عن ،حياتهم الخاصة ؛حتى لايتحيزوا الى قرار دون اخر خدمتا"لمصالحهم الخاصه ،حيث إن كل شخص لا يعرف سوى المعلومات التي هي في هويته مثل اسمه، عمره، جنسيته والحقبة التي يعيش فيها كما يجهل قدراته البدنية أو العقلية فمجمل معرفته أنه إنسان بغض النظر عن الاسم أو اللون أو الجنس أو العقيدة أو أي شيء من محددات الشخصية الفردية، ويعرف أيضا بموجب معرفته

العامة انه باعتباره إنسانا، إذ يعرف أن له أهدافاً ، لكنه لا يعلم ما هي على وجه التحديد. [120]

إن ما توخاه رولز من إضافة هذا البعد الجديد (حجاب الجهالة) هو أن تتم عملية التفاوض في جو محايد تماما، وان يحول دون أن يتميز أحد من المتفاوضين بأوضاعه الشخصية بحيث يصمم مبادئ تلائم أحواله، بل يجب إن لا يختل ميزان العدالة الذي يروم تحصيل إجماع الأفراد على هذه المبادئ، ذلك أن" كل المتعاقدين يجهلون مفهومهم الخاص

([119]) ينظر: كرسبني ،انطوني وكيت مينوج : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة. ص139 . و ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف . ص143 وما بعدها .

([120]) نقلا"عن بوزيد ،بومدين : فلسفة العدالة في عصر العولمة . ص144.

عن الخير وميولهم النفسية، وبهذا المعنى يمكن القول أن اختيارهم لمبادئ العدل يتم خلف حجاب الجهل." (121)

إذن فطالما أن كل متفاوض يجهل أوضاعه الخاصة فإنه لا خوف من شخص طرح مبادئ غير موضوعية تخدم مصالح البعض على حساب مصالح الآخرين.

هذا الموقف الذي نحن بصدد الحديث عنه والذي سيجد المتفاوضون فيه أنفسهم هو ما يسميه رولز **بالموقف الأصلي The Original Position** بحيث في هذا الموقف تكون هناك مجموعة متفاوضين كل فرد فيها يتميز بالحكمة العامة والجهل الخاص، وكل واحد منهم يسعى إلى تحقيق مصلحته الشخصية لكنه يجد نفسه عاجزا عن التمييز بين ملامحه وملامح الآخرين، وفي ظل هذا الوضع لابد لهم من إن يحاولوا لبلوغ مبادئ للعدالة تنتفي فيها المفاضلة بين الأشخاص بحيث يمكن أن يستفيد منها أي إنسان أيا كان، وبناءً على هذا يتم الاتفاق بين المتفاوضين كافة على ضرورة التزام الحياد إزاء المبادئ المطروحة وعدم تحيزها، بل يتم اتفاقهم حتى على ضرورة وضع ذوي الميزات الأدنى في الحسبان في

هذه المبادئ، ذلك أن أهمية نظرية العدالة لا تتحقق إلا حينما تأخذ مصلحة الفئة الأقل حرمانا والأكثر ضعفا. (122)

فبإمكان المتفاوضين مثلا أن يتأملوا وجهة نظر القائلة : بأن" العدل هو العمل لمصلحة الأقوى أو الأكثر امتيازا " وبوسعهم أن ينظروا إلى وجهة النظر التي ترى أن الخير يكمن

(121) المصدر نفسه . ص144.

(122) 30 نقلا"عن بوزيد ،بومدين : فلسفة العدالة في عصر العولمة . ص144.

في الرقي بالجنس البشري، كما يمكنهم الاعتماد على وجهة النظر التي ترى أن العدل قوامه الانسجام التام مع الطبيعة والتناغم معها... [123]

لكنهم سيرفضون كل هذه الاقتراحات ووجهات النظر لأنه لا أحد منهم سيقبل بأية مبادئ تميل للأقوياء أو المتفوقين لأنها ستكون ضده إذا أزيل عنه حجاب الجهالة، واكتشف وضعه السيئ، أنه من الضعفاء أو المتخلفين، فهذه أسباب كافية لرفضها من طرف المتفاوضين ، ويفترض رولز أنهم ربما يطرحون مذهب المنفعة العامة للنقاش والبحث لكنهم سيرفضونه بسرعة في رأي رولز بحجة أن هذا المذهب ظالم، لأنه يسمح بالتضحية بحقوق البعض من أجل الرفاهية العامة وهذا المنطق مرفوض، فالإنسان لا يمكنه القبول بمذهب يمكن أن يهدد أمنه الاجتماعي، ويعرضه للقهر في يوم من الأيام من أجل المصلحة العامة أو غير المصلحة العامة، طالما أن هذا الإنسان هو شخص عقلاني وهدفه هو تحقيق مصلحته الخاصة، مثلما حال باقي أطراف الموقف الأصلي، وهكذا وبعد أخذ ورد يرفض المتفاوضون المبادئ المطروحة، وما فيها من جور، وهي حقيقة يعلمها المتفاوضون حق

العلم بمقتضى معلوماتهم العامة التي سبقت الإشارة إليها، وهو ما سيقاطع مع فكرة التوزيع غير العادل للخيرات . [124]

([123]) رولز ،جون:العدالة كإنصاف.ص144.

([124]) نقلا"عن المولى ، د. سعود : امريكا ديموقراطية الاستبداد . ط1،دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان 2009. ص44 .

فضلاً عن أن رولز يعارض التصور القائم على التفاوت بين الناس الذي تتدخل فيه مجموعة من الاعتبارات "كالأصول الاجتماعية" أو" العرقية" أو "الجنسية" وغيرها، طبقية كانت أو سلطوية، مؤكدا بذلك على ضرورة التوزيع المنصف للثروات، بمعنى انه لا يجوز ان تكون فئة مستفيدة بإحدى الطرق السابقة، أي انه ليس لهم الحق في اكتساب قدر أكبر من الثروات إلا إذا ظهر بأن ذلك سيفيد بشكل أو بآخر أولئك الذين لم ينالوا سوى قسط ضئيل (الطبقات المحرومة) من الخيرات والثروات.

واضح إن رولز استقى مفهوم العدالة التوزيعية من فلسفة "أرسطو"، عندما قسم ارسطو المواطنون في كل دولة الى ثلاث فئات من حيث امتلاكهم للمال ،الطبقة التي تمتلك المال هم الميسورين ، والطبقة الدنيا الذين لا يملكون المال هم الفقراء ،وما بين هاتين الطبقتين هي الطبقة الوسطى ،ويرى ارسطو ان الافضل للدولة ان تعتمد على الطبقة الوسطى ،من هذه النقطة بنى رولز مفهوم العدالة التوزيعية في نظريته .

واستعاد من "كانط" مفاهيم الاستقلالية والكونية، والاستعمال رولز للعقل العمومي " (publique Ration) ايظا مستمد من فلسفة كانط ، كما يستحضر رولز نظرية التعاقد عند "روسو" وإن كان قد اعتبر نظريته على قدر كبير من التجريد. لكن نلاحظ إن رولز قد تجاوز كل البنيات الفلسفية السابقة، وهو ما ساعده على بلورة نظرية جديدة للعدالة، التي

سيطرح من خلالها مشروعا نظريا لتجديد الليبرالية، ولإعادة التفكير في مستقبل الديمقراطية ذات المنحى الليبرالي في المجتمعات ألما- بعد حداثية المركبة بنيتها ثقافيا عرقيا، وما تمخض عن ذلك من أزمات وصراعات بين" دعاة المساواة" و"دعاة الحريات"،

على قواعد أخلاقية للعدالة كإنصاف. ومن ثمة رصد الاختلافات التي تخترق الجسم الاجتماعي الليبرالي. [125]

المطلب الثاني : تحديد مبادئ العدالة

يحث رولز على تحقيق البعد الاجتماعي في عملية إنتاج الخيرات مادامت، هذه الأخيرة ، ستوزع بالتساوي على أفراد المجتمع(العدالة التوزيعية)، يبدو من خلال ما سبق أن رولز يضع "مبدأ التعاون"في مقابل "الروح الفردية"، فإذا كان من نتائج التعاون توحيد الصفوف وتكامل الأدوار وإنصاف جميع الأطراف، فإن من نتائج الفردانية، التشرذم وطغيان الذاتية والأنانية على مبدأ المصلحة العليا.[126]

وعندما نتحدث عن تضارب المصالح فإننا نعني بذلك أن الأشخاص غير مهتمين أو مبالين بالقواعد التي يتم بها توزيع محصول تعاونهم من جراء تلهفهم لتحقيق أهدافهم، فكل فرد

يفضل الحصول على الجزء الأكبر من هذه المزايا بدل الجزء الأقل، أي أن كل واحد يسعى إلى تحقيق مصلحته معتقدا أن مجهوده الخاص كفيل لبلوغ أهدافه وطموحاته وغاياته. [127]

([125]) ينظر: ساندل ،مايكل ج. : الليبرالية وحدود العدالة . ترجمة محمد هناد مراجعة الزبير عروس وعبد الرحمن بوقان ،المنظمة العربية للترجمة ،ط1 ، بيروت – لبنان 2009 . ص12 ومابعدها.

([126]) ينظر: رولز وجون : العدالة كإنصاف. ص147.و: بوزيد ،بومدين : فلسفة العدالة في عصر العولمة. ص145.

([127]) ينظر: رولز،جون : العدالة كانصاف. ص 158

ولهذه الأسباب وغيرها يتوصل "رولز" إلى ضرورة وضع مقاربة جديدة لمفهوم العدالة ، يتسنى من خلالها تحديد مبادئ أخلاقية وسياسية تشمل مختلف التصورات الممكنة لمسألة العدالة الاجتماعية وتكملها، بل إن العدالة كإنصاف، كما يرى رولز هي القاعدة التي ستضمن التوزيع العادل للخيرات وفق تصور أخلاقي يرضي الجميع، وذلك من خلال مبادئ العدالة الاجتماعية كما بلورها "جون رولز" والتي ستكون وسيلة فعالة لتوحيد الحقوق والواجبات داخل المؤسسات الأساسية للمجتمع، كما أنها ستساعد على التوزيع السليم والمتكافئ للأرباح.[128]. كما نجد إن المبادئ التي يقرها رولز تسمح بوضع الحقوق والواجبات الأساسية وتحقيق ما يعتقدون انه توزيع عادل للمزايا والأعباء الناتجة عن التعاون الاجتماعي، ولهذا يمكن القول أن مبادئ العدالة كإنصاف من شأنها أن تقدم تصورا شاملا لكل التصورات المختلفة للعدالة وتحتويها في نفس الآن، بشكل يجعلها تتخذ أبعادا قابلة للتطبيق عمليا داخل البنيات المؤسساتية متى توفرت الظروف المناسبة لذلك.[129]

فلابد إذا من وجود تنسيق بين مشاريع الأشخاص حتى يحصل انسجام بين الأعمال التي يقومون بها، وحتى لا يتضرر احدهم، ومن جهة أخرى، فلتحقيق هذه المشاريع يتعين أن

([128]) المصدر نفسه . ص159 وما بعدها .

([129]) المصدر نفسه . ص159

يسمح بالوصول إلى أهداف اجتماعية عن طريق استعمال وسائل تكون في ذات الوقت فعالة وغير مخالفة للعدالة. [130]

وقد نص جون رولز على مبادئ العدالة في "العدالة كأنصاف "وهي كما يلي :

المبدأ الأول

"لكل شخص الحق ذاته والذي لا يمكن إلغاؤه، في ترسيمه من الحريات الأساسية المتساوية الكافية ، وهذه الترسيمة متسقة مع نظام الحريات للجميع ذاته."[131]

المبدأ الثاني

"ويجب إن تحقق ظواهر اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية شرطين :

1- أن اللامساواة يجب أن تتعلق بالوظائف والمراكز التي تكون مفتوحة للجميع في شروط مساواة منصفة بالفرص .

2- إن تكون ظواهر اللامساواة محققة اكبر مصلحة لأعضاء المجتمع الذي هم الأقل مركزاً (وهذا هو مبدأ الفرق) " [132]

هنا يدرك رولز إن هذا التنافس يحسم بنتيجة تكمن في حصول البعض على مواقع وثروات مما يسمح بظهور فروق اجتماعية، لكن داخل إطار محكوم بتكافؤ الفرص. المشكل بالنسبة لرولز هو السماح بوجود تفاوتات شريطة ان لا يخلق هذا

([130])ينظر: روس ،جاكلين : الفكر الاخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا،عويدات للنشر والتوزيع ،بيروت 2001ص.43

([131]) ينظر: فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة،ص47.

([132]) ينظر: رولز ،جون : العدالة كأنصاف .ص148 .

مجتمع فئة محرومة من حقها الحصول على حقوقها الكاملة والفرص الأساسية لحساب فئة أخرى تتمتع بامتيازات. ومن اجل تحقيق هذا المجتمع دعا إلى المساواة الديمقراطية.

وفي ضوء ما تقدم ، يمكن القول، إنه لا يمكن التضحية بالمبدأ الأول لفائدة الثاني، فللمساواة في الحرية أسبقية عن المساواة في الفرص، ولهذه الأخيرة أولوية على التوزيع المتساوي للثروات، وداخل كل واحدة منها لا يقبل التفاوت ولا تقبل اللامساواة إلا إذا كان سيستفيد منها أولئك الذين هم أكثر تعرضا للحرمان والضعف والفقر من غيرهم، وانطلاقا من هذه المبادئ سيتم التوزيع العادل للمنافع الأساسية(حسب رولز)كأهم نقطة عملية نحو استعادة العدالة داخل كل المجتمعات الحديثة.(133)

ونلاحظ أن المبدأ الأول للعدالة لا ينطبق فقط على البنية التحتية (فكلا المبدأين ينطبقان عليها)ولكنه ينطبق بصورة أكثر تحديداً على ما نفكر بأنه الدستور المكتوب أو غير المكتوب. ونلاحظ إن بعض هذه الحريات ، وخاصة الحريات السياسية المتساوية وحرية التفكير والاجتماع يضمنها دستور ، وما يمكن ان ندعوه " قوة مكونة " في مقابل " قوة عادية " لابد ان تمارس بشكل مناسب على صورة نظام : يكون فيه حق التصويت ، وحق إشغال مركز ، وحق صنع مشاريع قوانين الحقوق في إجراءات تعديل الدستور ، كل ذلك على سبيل المثال . (134)

(133) ينظر: رولز،جون : العدالة كأنصاف . ص 149.

(134) المصدر نفسه . ص153.

المطلب الثالث : أنواع العدالة المقصودة عند رولز

يرى جون رولز في (العدالة كإنصاف)ان الموضوع الأولي للعدالة السياسية هو البنية الأساسية للمجتمع ،أي مؤسساته السياسية والاجتماعية الرئيسية وكيف تجتمع، وبشكل ملائم في نظام تعاوني موحد. وهذه المؤسسات السياسية والاجتماعية تتمثل في:

1- العدالة المحلية : أي مبادئ العدالة فيها مطبقة مباشرةً على المؤسسات والجمعيات

2- العدالة الأهلية : وهي التي تكون المبادئ فيها تنطبق على البنية الأساسية للمجتمع .

3- العدالة العالمية : وهي التي تكون مبادئ العدالة فيها منطبقة على القانون الدولي(135) .

ففيما يخص الأهلية (ويقصد بها الأسرة وهي اصغر بنية أساسية في المجتمع) فسبب اختيار رولز لها ؛هوان احد أدوارها الجوهرية هو تأسيس إنتاج المجتمع وإعادة إنتاجه هو وثقافته من جيل إلى الجيل الذي يليه، بمعنى ان الأسرة هي التي تحافظ على المجتمع ودوامه(136) . وهذه البنية لا ندخل فيها إلا بالولادة ولا نغادرها إلا بالوفاة ، حيث ان المجتمع السياسي مغلق، لا ندخله أو نخرج منه بإرادتنا .وتتم العدالة فيه وفق قواعد العدالة والحرية والمساواة.

أما فيما يخص قصد رولز بالمجتمع المحلية فهو المجتمع الثاني من حيث الترتيب التصاعدي ، وتكون مظاهر العدالة فيه توزع على حسب مواهبهم الطبيعية وفرص تعلمهم ...وغيرها مما يحقق العدالة الاجتماعية في المجتمع المحلي ،وهذه السلطة السياسية التي تحدد تلك المؤهلات للمواطنين لا تكون مشروعة إلا عندما تمارس طبقاً للدستور ومبادئ القانون الجوهرية التي صادق عليها جميع المواطنين المعقولين والعقلانيين في ضوء عقلهم

(135) ينظر :رولز ،جون : العدالة كأنصاف. ص101.

(136) المصدر نفسه .ص336.

الإنساني العام[137]. وهذا بدوره يسهل عملية تحقيق العدالة الدولية في المجتمع الدولي الذي هو يشبه المجتمع المحلي ومكوناته ولكن بشكل أوسع وله قانونه الخاص .

المطلب الرابع : بيان معنى (الفصل بين الحق والخير)

نرى رولز يجعل هناك علاقة بين الحق والخير في نظريته "نظرية العدالة " . ولكن يجعل الأولوية للحق على الخير . حيث يعد الحق عند رولز مثلما عند كانط فهو سابقا"على الخير ،فالحق سابق على الخير على النحو الذي يفيد بأن مبادئ العدالة التي تعني ان حقوقنا ليست مرهونة في تبريرها بأي تصور للحياة الخيرة ،كما نراه يفترض هناك أنواعاً لأفكار الخير في المفهوم السياسي ، كما يلي :

1- ان الأفكار المستعملة هي (يمكن ان تكون) مشتركة بين المواطنين عامة باعتبارهم أحرارً ومتساويين .

2- إنها لا تفترض وجود أي عقيدة شمولية بصورة كاملة (أو بصورة جزئية).[138]

كما نجد هناك ست أفكار عن الخير في " العدالة كإنصاف " هي:

الفكرة الأولى : هي فكرة الخير بمعنى العقلانية (Rationality) ، وهي تفترض ان للمواطنين خطة حدسية عن الحياة ، وفي ضوئها يجدون مساعيهم الأكثر أهمية، ويعينون

([137]) ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف. ص145-146.

([138])المصدر نفسه . ص302 .و: ينظر:فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة. ص37.

مصادرهم المختلفة لكي يناضلوا بصورة عقلانية في سبيل مفاهيم الخير في مدى الحياة كاملة . [139]

الفكرة الثانية : هي فكرة الخيرات الأولية ، وهي مصممة لتتماشى مع أهداف العدالة كإنصاف باعتبارها مفهوماً سياسياً.[140]

الفكرة الثالثة : هي فكرة مفاهيم الخير الكاملة المسموح بها . وهذه الفكرة تقدم أفضلية الحق أحيانا في هذا السياق :بصورتها الأكثر تعيناً في مقابل معناها العام .

الفكرة الرابعة : هي فكرة الفضائل الأساسية وتعين هذه الفضائل المثال الأعلى للمواطن الصالح في نظام ديمقراطي ،وهذا المثال الأعلى سياسي ، لكنه لا يفترض وجود عقيدة شمولية خاصة ، وبالتالي هو متسق مع فكرة أولوية الحق بمعنييها ويمكن إدماجه في مفهوم سياسي للعدالة ، بالرغم من انه مفهوم (جزئي) للجدارة الأخلاقية .

الفكرة الخامسة : فكرة الخير السياسي لمجتمع حسن التنظيم بفضل مبدأي العدالة .

الفكرة السادسة : فكرة خير المجتمع كالذي يكون اتحاداً اجتماعياً لاتحادات اجتماعية.

ان الأفكار الأربع الأول هي الأفكار الاكثر استخداما" في نظرية العدالة ، من اجل الحصول على الخيرات الأولية ، وتستخدم في الوضع الأصلي لتنتج مبدأي العدالة . ومفاهيم الخير المسموحة (الكاملة) هي تلك التي يكون النضال في سبيلها متسقاً مع تلك

(139) ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف . ص303 .و: فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة. ص38.

(140) ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف . ص303 . وكذلك:الربيعي،علي ،حسن :الوفاقات المعقدة في نظرية جون رولز. جريدة (الزمان) الدولية - العدد 3118 بالتاريخ 2008/10/11

المبادئ . ويتبع ذلك الفضائل السياسية التي تحدد بأنها صفات الشخصية الأخلاقية للمواطنين المهمة في تأمين بنية أساسية عادلة عبر الزمن .[141]

من تلك الأفكار نجد ان فكرة الخير المستخدمة في العدالة كإنصاف هي في خدمة العدالة ، ومادامت كذلك فهي تبغي الإنصاف أولا وهذا معناه الحق ، وبذلك يكون للحق الأولوية على الخير ، من اجل ضمان العدالة السياسية والاجتماعية .

وموقف رولز (هذا يذكرنا بكانط) ، حيث أولوية الحق على الخير تعتمد على زعمين هما :

- الزعم الأول :ان بعض الحقوق الفردية هي من الأهمية بمكان ما يحول دون غلبة الخير العام ذاته عليها .

-الزعم الثاني : يشير إلى ان مبادئ العدالة التي تحدد حقوقنا ، غير مرهونة في تسويغها بأي تصور معين للحياة الخيرة ، أو كما قال رولز بأي تصور أخلاقي أو ديني (شامل) والزعم الثاني هذا تحديداً ،هو توكيد على أولوية الحق على الخير . [142]

المطلب الخامس :معنى الاستقرار عند رولز

الاستقرار الذي تطرقت إليه " العدالة كإنصاف " يشير إلى كونها نظرة سياسية ليبرالية ، نظرة تستهدف ان تكون مقبولة من المواطنين على إنها معقولة وعقلانية ، وحرة ومتساوية أيضا .

([141]) ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف .ص304 .

([142])ساندل ،مايكل ج : الليبرالية وحدود العدالة . ص21.

توجد هناك طريقتان تخصان المفهوم السياسي بالاستقرار ، نفترض في أحداها أن الاستقرار هو مجرد شأن عملي ،إذا اخفق مفهوم في ان يكون مستقراً ، فمن العبث محاولة تحقيقه . في هذه الحالة نفكر بأنه يمكننا أولا صياغة مفهوم سياسي حسن، ومعقول بالنسبة ألينا على الأقل . والآخر إيجاد طرق لجذب الآخرين ممن لا يرفضونه للمشاركة فيه ، وفي حال الإخفاق ، والعمل وفقاً له ، وإذا تطلب الأمر عن طرق فرض عقوبات من قبل سلطة الدولة ، وطالما وجدت وسائل الإقناع والفرض ، فإن النظرة إلى المفهوم تفيد بأنه مستقر.(143)

والاستقرار في "العدالة كإنصاف " ليس مجرد عملية تجنب لأمر لابد منه ، بل ان ما يهم هو نوع الاستقرار ، والقوى التي تؤمنه . ان حس المواطنين بالعدالة ،وبالنظر إلى خلقهم ومصالحهم كما تشكلت في حياتهم في ظل بنية أساسية عادلة ، هو من القوة بحيث يقاوم الميول العادي نحو الظلم . كما ان المواطنين يعملون إرادياً على توفير العدالة واحدهم للآخر عبر الزمن ، فالاستقرار يكون مؤمناً بفضل دافع كافٍ من النوع المناسب تم اكتسابه في ظل مؤسسات عادلة.(144)

المطلب السادس : فكرة العقل العام

وهذه الفكرة هي فكرة مشتركة في مؤلفات جون رولز ، وخاصة في "العدالة كإنصاف " وقانون الشعوب " الذي سنبحث في تفاصيله في الفصل القادم ، لذا ارتأيت ان اجعله في محطة من محطات البحث ،بحيث يكون فكرة الرابط بين الفصلين . و نجد ان

(143) ينظر: رولز ،جون : العدالة كإنصاف. ص372-373 .

(144) المصدر نفسه . ص373 .

هذا الموضوع يتكون من مفاصل منها : الجمهور ، مضمون الخير ، المفاهيم المعقولة . وهو شرط المعاملة بالمثل لتطبيق مباشر لكيفية شرح المواطنين قراراتهم السياسية إلى شخص آخر. في جوهرها ، والسبب جمهور المواطنين يتطلب أن يكون قادراً على تبرير قراراتهم السياسية إلى شخص آخر باستخدام المتاح للجمهور من القيم والمعايير.

المواطنون المشاركون في أنشطة سياسية معينة واجب أن يكونوا قادرين على تبرير قراراتهم بشأن المسائل السياسية الأساسية بالإشارة فقط إلى القيم العامة والمعايير العامة.

لزيادة الإيضاح حول هذه المسألة يمكن تسليط الضوء على النقاط التالية :

- هناك نوعان من القيم : قيم عامة تكون متاحة للمواطنين وتحوي مفهوم العدل : تلك المتعلقة بالحرية والمساواة بين المواطنين والعدالة الاجتماعية للتعاون المستمر. بين القيم العامة وحرية ممارسة الشعائر الدينية ، والمساواة السياسية للمرأة والأقليات العرقية ، وكفاءة الاقتصاد ، والحفاظ على بيئة صحية ، وسلامة الأسرة وتأمين الإنجاب المنظم للمجتمع من جيل إلى جيل . قيم غير عامة هي القيم الداخلية للجمعيات مثل الكنائس (على سبيل المثال ، أن المرأة لا يجوز ان تصل إلى أعلى المناصب) أو النوادي الخاصة (على سبيل المثال ، التي استبعدت عن حق الأقليات العرقية) والتي لا يمكن أن تكون مجتمعه مع القيم العامة مثل هذه.[145]
- وبالمثل ، يجب أن يكون المواطنون قادرين على تبرير قراراتهم السياسية وفقا للمعايير العامة للتحقيق. وهذه المعايير العامة يجب ان تتفق مع مبادئ المنطق

([145]) ينظر: رولز ،جون : العدال كإنصاف . ص225 .

وقواعد الأدلة التي يمكن أن تؤيد جميع المواطنين بشكل معقول، أعلن رولز المعايير المقبولة هي تلك التي تعتمد على الحس السليم ، وعلى وقائع معروفة عموما ، وعلى نتائج العلوم التي هي راسخة والمثيرة للجدل.[146]

- واجب الالتزام بحكم العمومية الذي يطبق عندما تكون القضايا السياسية الأساسية معرضة للخطر : قضايا مثل الحق في التصويت ،و الأديان ، وما هي الفئات المعتمدة لصنع القرارات الفعالة . هذا هو ما يدعو رولز إليه من الأساسيات الدستورية والمسائل الأساسية للعدالة اكثر من المسائل السياسية الأقل خطورة ، على سبيل المثال معظم القوانين التي تغير من معدل الضرائب ، أو التي وضعت جانبا للحفاظ على المال العام والمتنزهات الوطنية.
- يجب تقييد قرارات المواطنين بقوانين وخاصة في الامور السياسية منها، كما هو بالعادة عند ممارسة صلاحيات الوظيفة العامة كالقضاة الملزمون بقوانين مثبته عندما يصدرون أحكامهم ، وكما على ينبغي على المشرعين الالتزام بحكم الجمهور عندما يتناقشون في المجلس التشريعي ، وكذلك السلطة التنفيذية والمرشحين للمناصب العليا يجب عليهم أن يحترموا العقل العام في التصريحات العامة .
- ويقول رولز بانه على الناخبين الالتفات أيضاً إلى رأي العامة(العقل العام) بالتصويت ،في أي من الأنشطة والتدريبات أو أي دعم من السلطة السياسية[147] ،

([146]) المصدر نفسه . ص221-222 .

([147]) ينظر: رولز ،جون : العدالة كأنصاف .ص222

كل ذلك يجب أن يكون له ما يبرره من حيث أن جميع المواطنين قد يؤيدونه إلى حد معقول. .

- الأخلاقية(وليس القانونية) ، والعمل : هي أسباب لتبرير القرارات السياسية لجميع المواطنين في الحقوق القانونية الكاملة لحرية التعبير . يضيف رولز: على المواطنين أن يتكلموا لغة شاملة يستخدمونها للجدل (وان كانت على أبسط القضايا) ، وحتى المذاهب و المسؤولين الحكوميين ، طالما ما يقولون يمكن ترجمتها إلى لغة العقل العام .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

ماهية قانون الشعوب

المبحث الاول: البنية الاساسية للقانون

المبحث الثاني: علاقات الشعوب

المبحث الثالث: الحرب والسلم في نظر رولز

المبحث الاول

البنية الاساسية للقانون

المطلب الاول: فكرة قانون الشعوب

المطلب الثاني : مبادئ القانون

المبحث الأول

البنية الاساسية للقانون

المطلب الاول: فكرة قانون الشعوب The Law of peoples

قانون الشعوب* يعني تصوراً سياسياً للحق والعدل الذي ينطبق على مبادئ وقواعد القانون الدولي والممارسة السياسية . يحاول رولز في كتابه (قانون الشعوب) الصادر عام1999 ، تحديد مبادئ قانون الشعوب وبيان موقف الليبرالية من امكانية العلاقة مع الآخر، غير الليبرالي. في البدء نرى رولز يستعمل مفهوم الشعوب بدل الدول أو الامم*؛ السبب الاول هو ان الشعوب بعكس الدول لا تحركها منافعها الخاصة وانما تحدد مصالحها الاساسية بشكل معقول دون المساس بمصالح الشعوب الاخرى. أي أن الشعوب تمتلك جانباً أخلاقياً.[148] والسبب الأخر هو ان الشعوب لا تمتلك السيادة* التي تمكنها من شن الحروب على الشعوب الاخرى كما لا تمتلك السيادة حتى في التعامل مع

---

* مصطلح مشتق من المصطلح القديم Ius gentium ويقول رولز: إنني لا استخدم مصطلح "قانون الشعوب " بهذا المعنى ،وإنما اعني به مبادئ سياسية معينة لتنظيم العلاقات السياسية المتبادلة بين الشعوب . ينظر: رولز ،جون : قانون الشعوب ،ترجمة ناطق خلوصي ،مراجعة وتقديم فاتنة حمدي ، بيت الحكمة ،بغداد-العراق 2006م ص5 المقدمة .

*ان الحرب تكون بين دول، لا بين أفراد، فمواطنو دولة ما ليسوا أعداء شعب الدولة التي تعاديها دولتهم وتحاربها. ويضيف : "أما حق الفتح فلا أساس له سوى شريعة الأقوى، وإذا كانت الحرب لا تخول الغالب حق إيقاع مذبحة في الشعوب المغلوبة، فإن هذا الحق الذي حرمه لا يصلح أن يكون أساساً لحق استعباده لتلك الشعوب".ينظر: جان جاك روسو، العقد الاجتماعي و مبادئ القانون السياسي، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972 .ص 21.

([148]) بمقال عنوان "الليبرالية والآخر "قراءة في كتاب قانون الشعوب لخضير محمد المنشور في جريدة الصباح في سبتمبر 2007

* السيادة : وهي القوة المطلقة الدائمة للدولة . كما إنها تعتبر الصفة التي تتصف بها السلطة السياسية في الدولة ، بمعنى إنها مجموعة من الاختصاصات التي تنفرد بها السلطة السياسية في الدولة وتجعل منها سلطة آمره عليا. وللسيادة وجهين :سيادة خارجية وهذه تكون خاصة بالعلاقات الخارجية . وسيادة داخلية وهذه معناها إن الدولة تتمتع بسلطة عليا على جميع الأفراد والهيئات الموجودة على إقليمها . كما إن سيادة الدولة الكاملة معناها استقلالها الخارجي وسمو سلطانها في الداخل ، وهناك نظريات سياسية من أبرزها :نظرية سيادة الشعب ومفادها إن تكون السلطة بيد الجماعة بوصفها مجموعة من الأفراد ، وبالتالي تكون السيادة لكل فرد ، وبالتالي سيكون الانتخاب حقاً لا وظيفة . بدوي ،د. ثروت : النظم السياسية . القاهرة 1989 . ص40وما بعدها .

افرادها ، ما يعني ان الدول الكبرى والمنظمات الدولية تمتلك كامل الحرية في التدخل بشؤونها.[149]

وقانون الشعوب هو محاولة لتوسيع نطاق نهج رولز contract Arian للعلاقات الدولية ، حيث يستخدم رولز هنا نفس النهج الذي استخدمه في العمل قبل اقتراح أساس معقول لتنظيم سياسي من الأنظمة السياسية الحاكمة في الفردية.

رولز يقترح عقداً بين الشعوب (أو من ينوب عنهم) الذين يجتمعون على قدم المساواة التماثلية لضمان وضع أحرار ومتساوين. وهذا يؤدي إلى تعزيز (صحيح ومضمون للمصلحة الذاتية) ،ثم وضع معايير للسلوك الدولي. وتشمل هذه المعايير على الكثير من قواعد القانون الدولي ، مثل الحرب فقط من أجل الدفاع عن النفس. وبهذا يكون قانون الشعوب هو واقعياً خيالياً :بمعنى انه محاولة لاظهار "كيف للمواطنين والشعوب أن تعيش بسلام في عالم عادل"[150]

وهذا يذكرنا برأي كانط من قانون الشعوب* على التحالف بين دول حرة ،فلابد من الاعتراف بأن الشعوب المتمدنة ما زالت في علاقاتها الدولية على حال من الهمجية(الانحطاط البهيمي) .[151] والوسيلة الوحيدة للخلاص من هذا الوضع هو بالاستعاضة عن العلاقات الدولية ، بحالة الطبيعة أي حالة الشرعية ،وتنظي الأُمم كلها "مدينة حرة " مثلها

([149])مقال بعنوان "الليبرالية والآخر "قراءة في كتاب قانون الشعوب المنشور في جريدة الصباح في سبتمبر 2007

([150]) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة: قانون الشعوب

*او قانون الامم او قانون البشر او " القانون الدولي العام " كما يقال اليوم

([151]) كانط :إمانويل : مشروع للسلام الدائم ،ترجمة وتقديم د. عثمان امين ،ط1، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة 1952م. ص15 .

في ذلك مثل الأمم نفسها ، قامت على التعاقد الحر بين الافراد ، بعبارة اخرى جمع شملها في "تحالف سلمي " ، وما على الدول سوى الانضمام لهذا العقد او الميثاق[152].

يشمل رولز المجتمعات الليبرالية (يعتمد أساسا على جميع أشكال الديمقراطيات الحديثة) وما أسماه الشعوب لائقة. وهذه الأخيره لا تفي بجميع المعايير لاقامة دولة ليبرالية ولكن لديها احترام حقوق الإنسان وبعض التدابير اللازمة لمشاركة سياسية واسعة.

ونجد ان قانون الشعوب عند رولز مقتَرح على تجميع الشعوب ، بدلا من الدول. هذا التمييز ليس واضحاً عند النظر اليه لأول وهلة ،و لا يخضع لمعايير حجاب الجهل ،ولكن رولز يرى ان الدول تخضع للكثير من سلطات الكيان السياسي ،وبالتالي الشعوب تكون ذات حريات اكبر ،فكان برأيه قانون للشعوب وليس للدول .اذ يقول رولز :" ثمة سبب اخر يجعلني استخدم مصطلح الشعوب ،يتمثل في انني اريد ان اميز تفكيري عن الفهم التقليدي للدول السياسية بسلطتها السيادية التي يتضمنها القانون الدولي .[153]

و يقدم رولز قانونه للشعوب من خلال نظريتين هما :

1- النظرية المثالية: تشمل توسيع فكرة التعاقد الاجتماعية العامة لتستوعب مجتمع الشعوب الديموقراطية الليبرالية ، ولتشمل أيضاً مجتمع الشعوب المحترمة والتي وإن لم تكن ديمقراطية ليبرالية ،فهي تتمتع ببعض السمات التي تجعلها في وضع يؤهلها لتكون جزءا" من مجتمع الشعوب . [154]

(152) كانط :إمانويل : مشروع للسلام الدائم . ص15-16.
(153) ينظر: رولز ،جون : قانون الشعوب . ص34.
(154)ينظر: المصباحي ، محمد : فلسفة الحق ،كانط والفلسفة المعاصرة ص157.

2– النظرية غير المثالية : وهي تتعاطى مع شروط العصيان أي ضمن اية شروط ترفض بعض الانظمة الامتثال لقانون الشعوب وهي التي تطلق عليها الدول الخارجة عن القانون (سنتناولها فيما بعد بالتفصيل) ، كمايندرج تحت هذه النظرية الشعوب التي تتعاطى مع الشروط السيئة التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تجعل من تحول هذه المجتمعات الى انظمة عتيدة ، سواء كانت ليبرالية أو محترمة، وهذا أمرٌ صعب إن لم يكن مستحيلاً . (155)

يقول رولز :" **فكرة العدالة التي يمكنني استخدامها للقيام بذلك هي أعم من العدالة والإنصاف ، والصلة لا تزال مع فكرة العقد الاجتماعي : إجراءات البناء ، ومختلف الخطوات التي مرت ، هي نفسها تقريبا في كلتا الحالتين**."(156) أي ان "قانون الشعوب " هو الآخر متأثر فيه جون رولز بفلاسفة العقد الاجتماعي عندما الفه .

Even though the idea of justice I use to do this is more general than justice as fairness, it is still connected with the idea of the social contract: the procedure of construction, and the various steps gone through, are much the same in both cases.

ومثله كمثل كثير من أعمال رولز ، صيغ بدقة وهذا العمل مكتوب بعناية فائقة. نرى رولز هذا العمل هو واقعي وطوبائي في نفس الوقت ، وغايته هي تحديد بعض حدود ما يمكن القيام به في العلاقات الدولية من خلال ممارسة منهجية للعقل وحسن النية. في هذه الحالة ، وهذا هو فعلا واقعياً. كان رولز على أرضية صلبة ، بمعنى أن وضع نظريه تسعى الى وضع امثل في بعض المجتمعات ، مثل المجتمعات التعددية democratic والى

(155) ينظر :رولز ،جون :قانون الشعوب. ص158.
(156) المصدر نفسه .ص35.

عدم وجود حرب بين الديمقراطيات ، هي ظواهر حقيقية حاول معالجتها من خلال نظريته.[157]

المطلب الثاني :مبادئ قانون الشعوب

يقول رولز " ان هذه المبادئ سوف تتيح على ما افترض ، مجالاً لظهور اشكال مختلفة من جمعيات واتحادات للتعاون بين الشعوب ولكنها لن تقرر دولة عالمية .واسترشد هنا بنموذج كانط في "السلام الدائم " في التفكير بأن حكومة عالمية سوف تكون اما حكومة استبدادية عالمية ، او انها تحكم امبراطورية ضعيفة تمزقها نزاعات اهلية عندما تحاول مناطق او شعوب مختلفة ان تحصل على حريتها واستقلالها السياسي . "[158]

وبطريقة مماثلة للطريقة المعتمدة في "نظرية العدالة " ، يمكننا ان ننظر اولاً في مبادئ العدالة التقليدية والمألوفة بين الشعوب الحرة والديموقراطية ، لنصل الى تحديد مبادئ لقانون الشعوب ، ومنها :

1- الشعوب حرة ومستقلة ويجب ان تحترم حريتها واستقلالها من قبل الشعوب الاخرى .

2- على الشعوب ان تلتزم بالمعاهدات والتعهدات .

3- الشعوب متساوية وهي اطراف في الاتفاقات التي تربطها.

4- على الشعوب ان تلتزم بواجب عدم التدخل .

5- للشعوب الحق في الدفاع عن النفس ، ولكن ليس لها الحق في شن الحرب لاسباب غير اسباب الدفاع عن النفس .

([157]) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة: قانون الشعوب

([158]) ينظر: رولز ،جون : قانون الشعوب . ص50 .

6- على الشعوب ان تحترم حقوق الانسان .

7- على الشعوب ان تلتزم بقيود معينة في ادارة الحرب .

8- على الشعوب واجب مساعدة الشعوب الاخرى التي تمر بظروف سيئة تمنعها من التمتع بنظام سياسي واجتماعي عادل او مقبول . [159]

اما فيما يخص توضيح هذه المبادئ ،نجد ان رولز يرى فيما يخص الحق بالاستقلال ، وكذلك الحق في تقرير المصير إنهما مقبولان ضمن حدود معينه فقط ، كما لايحق للشعوب ان تعترض على ادانة المجتمع العالمي لها بانتهاك للقوانين المحلية لحقوق الانسان او تقييد حقوق الاقليات التي تعيش ضمنه .[160]

كما ان هناك الكثير من المبادئ التي لم تذكر ،مثلا مبادئ لتشكيل وتنظيم اتحادات (ورابطات) شعوب ومعايير إنصاف في التجارة والمؤسسات التعاونية الاخرى . كما توجد اخرى للمساعدة بين الشعوب في زمن المجاعة والجفاف ...

كما نجد ان كُلّ هذه المبادئِ، بإستثناء الأخير، مألوفة في القانونِ الدوليِ المُعاصرِ (مع ذلك قائمة رولز لحقوقِ الإنسان لمبادئِ أقصرُ مِنْ القائمةِ في القانونِ الدوليِ). يَتْركُ رولز المجال أيضاً لقانونِه مِنْ الناسِ لإسْكان المنظماتِ المُخْتَلِفةِ التي قَدْ تُساعدُ المجتمعاتَ لزِيَادَة تنسيقِهم السياسيِ والإقتصاديِ،(مثل النسخِ المِثاليةِ الأُمم المتّحدة ، منظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي.) ويتعامل رولز مع موضوعه بموجب مبدأ روسو الذي يتناول البشر كما هم فعلاً ، والقوانين كما يجب ان تكون.

([159]) ينظر: رولز ،جون : قانون الشعوب . ص51-52 .
([160]) المصدر نفسه . ص52-53 .

و في الجزء الاول من نظرية قانون الشعوب يتفق ممثلو الشعوب الليبرالية على مبادئ القانون من دون معرفة او الاخذ بالاعتبار طبيعة وموقع الشعوب التي يمثلونها لكي لا تؤثر تلك المعرفة على قراراتهم. هذا ما يسميه رولز بالاتفاق خلف ستار من الجهل وذلك لتحقيق الموضوعية في قرارات ممثلي الشعوب الليبرالية.

المبحث الثاني

علاقات الشعوب

المطلب الاول : انواع الشعوب العالمية

المطلب الثاني : آلية العلاقة بين الشعوب الليبرالية والآخر

المبحث الثاني

علاقات الشعوب

المطلب الأول : أنواع الشعوب العالمية

في القسم الثاني من النظرية (أي بعدان بين ماهيه قانون الشعوب) ،يبحث جون رولز في العلاقات مع الشعوب غير الليبرالية ويشترط ان تكون مقبولة وذلك عندما تمتلك مواصفات محددة منها :

1- ليست لها أهداف عدوانية.

2- يتكون الشرط الثاني من ثلاثة اجزاء:

أ- تمتلك نظاماً قانونياً ينسجم مع فكرتها للعدالة ويؤمن الحقوق الاساسية للمواطنين: حق الحياة والحرية والملكية (العامة ،والخاصة او ما تسمى بالفردية) والمساواة.

ب- النظام القانوني يحدد واجبات والتزامات اخلاقية على كل الشعوب بما يتناسب مع فكرتهم المشتركة عن الخير وقدرتهم على التعلم الاخلاقي.

ج- على المسؤولين القضائيين ان يعتقدوا بوجود فكرة الخير المشتركة تلك وان يسترشدوا بها[161] يرى رولز إن ما يميز هذه الشعوب كون حقوق الانسان فيها تقوم على تجمعات وجمعيات واتحادات أي جماعات تتمثل في النظام القانوني من قبل هيئة هرمية تشاورية مقبولة، وظيفتها ان ترعى فكرة الخير المشتركة وتسمح لكل

([161]) مقال بعنوان " الليبرالية والاخر" في جريدة الصباح.

الآراء إن تطرح، وعلى المسؤولين سماعها واعطاء التفسيرات المطلوبة حولها.

3-بينما تنتمي فكرة العدالة في الليبرالية فيما يتعلق بحقوق الإنسان الى مفهوم سياسي ليبرالي للعدالة فضلاً عن مجموعة ثانوية من الحقوق والحريات التي تؤمن لكل المواطنين الاحرار والمتساوين .

مفهوم رولز للناسِ ضمن القانون "قانون الشعوب " ،يَوازي مفهومَه للمواطنين ضمن "العدالةِ كإنصاف" . الناس يَرونَ أنفسهم محررين بمعنى لهم وجود مستقل سياسياً بشكل شرعي؛ على حد سواء في الإستحقاق والإعترافِ والإحترامِ.

سيتقيد الناس معقولون بشروطِ عادلةِ مِنْ التعاونِ مَع الناسِ الآخرينِ، حتى في الحالاتِ التي هم قَدْ يَقدّمونَ مصالحَهم العقلانيةَ دون إنتهاك تلك الشروطِ، مما أعطىَ فكرةِ ان الناسِ الآخرينِ سَيَعْملونَ ذلك أيضاً. هذا يعني ان الناس المعقولين غير راغبين بالمُحَاوَلَة لفَرْض نماذجِهم السياسيةِ أَو الإجتماعيةِ على الناسِ المعقولينِ الآخرينِ. يَرضونَ معيارَ التبادلِ فيما يتعلق أحدهم بالآخر.[162]

و يَصِفُ رولز مصالح أساسية للشعوب ، على النحو الآتي :

1- حماية استقلاله السياسي، وأرضه، وأمن مواطنيه.

2- الإبقاء على مؤسساتَهِ السياسيةِ والاجتماعيةِ وثقافتِها المدنيةِ.

2- يَضْمنُ إحترام الذات للشعب ، الذي يَستند إلى وعي مواطنيه وتأريخِه وإنجازاتِه الثقافيةِ.[163]

([162]) موسوعة اسنانفورد للفلسفة 25 مارس 2008

([163]) موسوعة اسنانفورد للفلسفة 25 مارس 2008

من جانب أخر يطرح رولز أنواعاً للشعوب العالمية ، فبالاضافة الى الشعوب الليبرالية ، توجد الشعوب غير الليبرالية وهذا ما اطلق عليه رولز بـ(الآخر) ، وهذه الاخيرة بدورها تقسم الى :

1- الشعوب غير الليبرالية المقبولة التي تمتلك سلطة تشاورية . يتم التعامل معها وفق قاعدة التسامح.

2- شعوب دول خارجة عن القانون ،يتم التعامل معها وفق قاعدة الحرب العادلة .

3- شعوب ترزح تحت ظروف غير مؤاتية (اعباء ثقيلة)تستحق المساعدة من قبل الاخرين ، ويتم التعامل معها وفق قاعدة المساعدة (وهي واحدة من قواعد قانون الشعوب عند رولز)

4- شعوب تحت سلطة مطلقة تهدف الى الخير ،لكنها تحرم مواطنيها دوراً مهما في اتخاذ القرارات السياسية فهي غير حسنة التنظيم ، لذلك يتجاهلها رولز ولايشغل باله في قاعدة للتعامل معها. وهذه محاولة من قبل رولز لتحديد معالم قانون يحكم العلاقات بين الشعوب الليبرالية وسواها من الشعوب غير الليبرالية وبالتحديد الشعوب التي يطلق عليها رولز تسمية الشعوب المقبولة .

المطلب الثاني : طبيعة العلاقة بين الشعوب الليبرالية والآخر

القواعد التي وصفها رولز كأساسيات للتعامل مع الشعوب الليبرالية على اختلاف انواعها ، هي بمثابة آلية تستعمل في علاقة الليبرالي مع الآخر .

ومن هذه الآليات "التسامح " * ، وهذه تستخدم من الشعوب الليبرالية اتجاه الشعوب غير الليبرالية (على أن الشعوب الليبرالية لا تحتاج إلى التسامح)، وأن الشعوب غير الليبرالية تفشل في التعامل مع الاشخاص الذين يملكون كل قوى العقل والذكاء والشعور الاخلاقي [164].

فبعد إن ناقش رولز (حدود التسامح) مناقشة مستفيضة، فى كتابه " نظرية العدالة "، طرح هذا السؤال المحوري :أينبغى أن نتسامح مع " العنف "؟.. أنتسامح مع ما يهدد التسامح نفسه؟. خلص إلى أنه يجب ان نسلك القاعدة الذهبية للأخلاق " عامل الناس بما تحب أن يعاملوك " وأكد هذا اكثر في "قانون الشعوب" .

---

* التسامح والتساهل الفكري من المصطلحات التي تُستخدم في السياقات لوصف مواقف واتجاهات تتسم بالتسامح)أو *الاحترام المتواضع* (أو غير المبالغ فيه لممارسات وأفعال أو أفراد نبذتهم الغالبية العظمى من المجتمع. ومن الناحية العملية، يعبر لفظ "التسامح" عن دعم تلك الممارسات والأفعال التي تحظر التمييزالعرقي والديني . شاع استخدامهما بشكل متزايد للإشارة إلى قطاع أكبر من الممارسات والجماعات التي تم التسامح معها أو الأحزاب السياسية أو الأفكار التي تم اعتناقها على نطاق واسع. ويعتبر مفهوم التسامح واحدًا من المفاهيم المثيرة للجدل . ولعل من أسباب ذلك أنه لا يعمل على الارتقاء بمستوى المبادئ أو الأخلاقيات الفعلية على غرار ما يحدث في المفاهيم الأخرى (المتمثلة في الاحترام والحب والمعاملة بالمثل) كما نجد جون لوك قد تناول مسألة التسامح في فلسفته السياسيه ،وفيها اكد لوك ان مهمة الحكومة المدنية تختلف اختلافاً بيناً عن مهمة الدين. فالدولة هيئة تكونت لتحقيق اماني الشعب في الحرية والملكية، والحاكم لا يملك سوى القوة الظاهرة، في حين ان الدين الحقيقي لا يلجأ الى غير اقناع العقل اقناعاً داخلياً، كما ان فكرة فرض العقيدة بواسطة السيف يعتبر سفاهة لعجزه عن الاقناع، ومما يزيد فكرة الاكراه الديني سفاهة، هي ان الناس في هذه اما تصيبيهم السعادة الابدية او التعاسة السرمدية فحسب الاماكن التي يولدون فيها. لذا نجده في مقالة التسامح، كان قد قلب نظرية الحق الإلهي المطلق. فتحول الاهتمام من القضية حول أية مواضيع ومجالات مفروض على الرعايا اطاعتها والالتزام بها نحو الحاكم، الى المسألة حول أية فروض او التزامات من الطاعة مخولة للحاكم بحيث يطالب الآخرين بالالتزام بها،يحدد لوك ذلك"ان السلطة المدنية لا ينبغي لها ان تفرض عقائد الايمان بواسطة القانون المدني، سواء تعلق الامر بالعقائد او بأشكال عبادة الله... ان رعاية النفوس لا يمكن ان تكون من اختصاص الحاكم المدني، لان كل سلطة تقوم على الاكراه.اما الدين الحق المنجي فيقوم على الأيمان الباطن في النفس" . ينظر: بيوري: حرية الفكر.ت: عبد العزيز اسحق. القاهرة. ص73.و: لوك (جون): رسالة في التسامح. ترجمة:عبد الرحمن بدوي، ط1، 2006، بغداد. ص 71- 72. ويكيويبيديا . الموسوعة الحرة ،مصطلح "التسامح ". http:\\ar.Wikipedia.org\wiki\التسامح

([164]) ينظر:رولز ، جون : قانون الشعوب . ص86.

والتسامح يعني اكثر من مجرد الامتناع عن فرض عقوبات عسكرية واقتصادية ودبلوماسية -التي يبدو فرضها طبيعياً وامراً مفروغاً منه بالنسبة للانظمة الليبرالية تجاه الاخر- وانما يذهب رولز الى ابعد من ذلك في النظر الى الشعوب غير الليبرالية المقبولة على انها اعضاء على قدم المساواة مشاركة من موقع جيد في مجتمع التسامح بين الشعوب بكونه مطبقاً في المجتمع الواحد، والسبب الاخر يتمثل في ان فرض العقوبات على الشعوب غير الليبرالية المقبولة يؤثر سلبيا" على احترام الشعوب والافراد لذاتها مما يؤدي الى شعور لا مبرر له بالمرارة والكراهية. وفي نهاية الامر فقد يؤدي التسامح الى التحول التدريجي للشعوب غير الليبرالية الى شعوب ليبرالية[165].

ويعبر رولز عن تمنيات الليبرالية بصراحة "ان السياسة الخارجية لشعب ليبرالي.. سوف تعمل تدريجياً لتشكيل كل المجتمعات التي لم تتحول بعد الى الليبرالية في اتجاه ليبرالي حتى تصبح كل المجتمعات في النهاية وفي الحالة المثالية ليبرالية".[166] هكذا يرى رولز إمكانية تعامل الشعوب الليبرالية مع الشعوب غير الليبرالية من موقع متعال محاولة بكل الوسائل تحويل هذه الشعوب الى الليبرالية. وهو في هذا يصور الليبرالية كما كانت قد وصلت الى اقصى درجات الكمال فيما تحتاج الشعوب في النظم الأخرى إلى الكثير لتصل الى المستوى النموذجي الذي وصلته الليبرالية لكنه يتنازل ويشدد على ضرورة التسامح مع هذه الشعوب حتى تفيق الى رشدها. واسوة بكل الليبراليين فانه لا يحاول التوصل الى فهم موضوعي غير متعصب للشعوب الاخرى .

([165]) ينظر:رولز ، جون : قانون الشعوب . ص86.

([166]) مقال في جريدة الصباح بعنوان"الليبرالية والآخر".

يرى رولز انه لا يمكن التسامح مع الدول الخارجة عن القانون لأن تلك الدول عدائية وخطرة والشعوب حيث تمثل حالة من الهمجية البدائية ؛لانه لا قانون يحكمها.ولكن لابأس بالمحاولة في تغييرها ؛لانها إذا تغيرت او اجبرت على التغير سيكون افضل للمجتمع الدولي بأسره، والا فانها تؤثر سلبياً على المناخ الدولي.

المبحث الثالث

الحرب والسلم في نظر رولز

المبحث الثالث

الحرب والسلم في نظر رولز

الحرب والسلم هي من الاوضاع الوارد جداً ، ويتعرض كل شعب أو امة لها،فلا مفر منهما ،فإن لم تكن الشعوب في حالة حرب فهم في حالة سلم ،وقد تناول كثير من الفلاسفة هذا الموضوع ،ومن ضمنهم الفيلسوف كانط في مؤلفه المشهور " مشروع للسلام الدائم " حيث نجد كانط فيه يؤمن بان الطبيعةهي تعد وتهيء شموليتها وكونيتها Universalisation ،وذلك بجرها البشرية نحو نهاياتها وغاياتها . و" الطبيعة " تعطي للسياسة غاياتها وذلك بقيادتها الجنس البشري نحو انتشاره على وجة الارض كلها، ونحو الثقافة ، وهما شرطان في قيام حكومة شرعية جمهورية وكونية تشيع السلم الدائم . إن النظام الجمهوري المعد ، طبعاً لكي يشمل الكون ولكي يلغي الحروب والمخاصمات هو بالتالي "اعداد " لمملكة الله.حيث يرى كانط ان المادة النهائية لتحقيق السلام الدائم يجب ان يكون دستور المدينة في كل دولة دستور جمهورياً. [167] وعلى كلٍ فالنظام الجمهوري المحدد (أي التأريخي)لا يقام او يؤسس الا بشكل غير كامل ،وبالتطبيق البسيط ، لسيادة الحرية .و ان الطبيعة والسياسة لا يؤديان ولا تقودان الا الى الشرعية وليس الى الخلقية . ولكن حالة القانون وسيادته هي ضمن الخطة العامة لفلسفة التأريخ ، انها اسبق للتصور والامل في

([167]) كانط :إمانويل : مشروع للسلام الدائم ،ص41 وما بعدها.

سيادة القانون الاخلاقي سيادة مطلقة عملية . [168] كما ينبغي ان يقوم قانون الشعوب على اساس نظام اتحادي بين دول حرة ،ولابد لكل شعب ان يضمن امنه وسلامته ،وان يطلب من الاخر ان يشاركه في نظام شبيه بالدستور المدني الذي يرى فيه كل واحد ضماناً لحقوقه[169] .

ورولز في مؤلفه (قانون الشعوب)تناول موضوع السلم والحرب أيضاً وكيفية التعامل معهما ، كما تناول الذين يُهدّدونَ السلامَ بالمُحَاوَلَة لتَوَسّيُع قوَّتِهم وتأثيرِهم، أَو بإنتِهاك حقوقِ إنسان ضمن أرضِهم ،تسمح مبادئ قانونِ الشعوب للناسِ لمُحَارَبَة هذا تَمْنعُ في الدفاع عن النّفسِ، ولإتِّخاذ إجراءاتِ قسريّةِ ضدّهم لإيقاْف إنتهاكِ حقوقِ الإنسان.

فكما ان للشعب الليبرالي الحق في الحرب دفاعاً عن النفس والمؤسسات السياسية ، كذلك هو الحق للشعوب غير الليبرالية ومنها الشعوب المقبولة ، حيث لهاالحق في دخول الحرب دفاعاً عن النفس ويمكنها ان تصف ما تدافع عنه بصورة مختلفة عن الطريقة التي يصف بها الشعب الليبرالي ؛ذلك ان الشعوب المقبولة لديها أيضاً ما يستحق الدفاع عنه ، فحكام الشعب المقبول المتخيل ، يسمحون لافرادها بالختلاف عنهم في الديانة مثلاً. [170]

المهم ان لا تتمتع الشعوب بالعدوانيه ، او بالنظر الى مصالحها الخاصة ، وان تتخيل نفسها بدل الآخر في كل تصرف تقوم به ، ولتتحقق عندها من مدى صلاحية هذا الفعل ام لا .

من اجل ذلك يحدد رولز مبادئ للحروب او كما يسميها هو بأفتراضات للحرب ،وهي :

([168]) كانط :إمانويل : مشروع للسلام الدائم ، ص22.

([169])المصدر نفسه . ص51.

([170]) ينظر :رولز،جون: قانون الشعوب . ص133-134.

1- ان هدف الحرب العادلة التي تشن من قبل شعب عادل منظم بصورة جيدة هو السلام العادل والدائم بين الشعوب ،وبشكل خاص مع العدو الراهن لهذا الشعب .[171]

2- ان الشعوب المنظمة بصورة جيدة لايشن احدها الحرب ضد الآخر ، وانما فقط ضد الدول غير المنظمة بصورة جيدة ، والتي تهدد اهدافها التوسعية امن الانظمة المنظمة بصورة جيدة ومؤسساتها الحرة وتسبب في الحرب .[172]

3- يتوجب على الشعوب المنظمة بصورة جيدة ان تميز بعناية في ادارة الحرب ،ثلاث مجموعات : قادة ومسؤولي الدولة الخارجة على القانون ، وجنودها ، وسكانها المدنيين .

والسبب الذي يوجب على الشعب المنظم بصورة جيدة ان يميز بين قادة ومسؤولي الدولة الخارجة عن القانون وسكانها المدنيين يتمثل بـ: طالما ان الدولة الخارجة عن القانون ليست منظمة بصورة جيدة فان الافراد المدنيين في المجتمع لايمكن ان يكونوا هم الذين اعدّوا للحرب وقاموا بشنها.[173]

4- على الشعوب المنظمة بصورة جيدة ان تحترم بأقصى ما تستطيع ، حقوق الانسان لدى الجانب الاخر ، مدنيين او عسكريين ؛لسببين : اولهما لان العدو شأنه شأن الاخرين ،يملك هذه الحقوق بموجب قانون الشعوب . و ثانيهما لتعليم جنود ومدنيي العدو مضمون هذه الحقوق من خلال نموذج التعامل الذي يتلقونه فيتبين لهم بهذه الطريقة معنى واهمية حقوق الانسان .[174]

---

(171) ينظر:رولز ،جون : قانون الشعوب . ص137 .
(172) المصدر نفسه . ص137
(173) المصدر نفسه. ص139
(174) المصدر نفسه. ص140.

5- ولمواصلة فكرة تعليم مضمون حقوق الانسان ، فأن المبدأ الذي يلي ذلك يتمثل في ان على الشعوب المنظمة بصورة جيدة ان تؤشر ،خلال الحرب ما وعند الامكان ، نوع السلام الذي يهدف اليه ونوع العلاقات التي يبحث عنها ، وذلك من خلال افعالها وبياناتها .[175]

6- يتوجب ان يقيد دور التفكير القائم على الاعتبارات العلمية للغايات والوسائل في الحكم على مدى ملائمة عمل اوسياسية ما . ان هذا النمط من التفكير سواء تم عن طريق التفكير النفعي او على اساس تحليلات الكلفة والمنفعة او بقياس المصالح الوطنية او بطرق اخرى ممكنة ، يجب ان يصاغ دائماً ضمن المبادئ والافتراضات السابقة ويحدد بشكل صارم من قبلها . [176]

ان معايير ادارة الحرب تضع خطوطاًمعينة يجب عدم تجاوزها ،بحيث تبقى الخطط والاستراتيجيات وادارة المعارك ضمن الحدود التي تحددها . والاستثناء الوحيد هو في حالات الحاجة الملحة القصوى .

وهذا في ظروف خاصة معينة يكون الوضع المحدد للمدنيين الذي يمنع بصورة اعتيادية ،مهاجمتهم اثناء الحرب بصورة مباشرة .[177]

([175]) ينظر :رولز،جون: قانون الشعوب . ص140.
([176]) المصدر نفسه. ص141 .
([177]) المصدر نفسه. ص143.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

النقد الفلسفي والسياسي لفكر

جون رولز

المبحث الاول: اراء نقدية لفلسفة جون رولز

المبحث الثاني: نقد هابرماس لجون رولز

المبحث الاول

اراء نقدية لفلسفة جون رولز

المبحث الأول

آراء نقدية لفلسفة جون رولز

مع مئات الكتب وآلاف المقالات المكرسة كليا أو جزئيا للفكر السياسي لرولز ، في هذا المبحث سنعرض خطوطاً أكثر أهمية ودائمة للنقد (على سبيل المثال ، التحررية ، النسوية ، المجتمعية).

نقد رولز يزيد يوماً بعد يوم ،ففيما يخص نظرية العدالة ويمكن اجمال النقد بثلاثة مستويات هي :

1-المتعلق بالموقف الاصلي وما ينطوي عليه من جهالة المتفاوضيين بأوضاعهم وظروفهم حيث بدون حجاب جهالة لن يصلوا الى أي نتيجة .

2- الذي يبنى على التسليم جدلا بأمكان قيام المفاوضات في ظل الشروط المطروحة ،ومع هذا فالاعتراض لا يدور حول الطريقة التي يتم فيها التفاوض حيث ان سلم جدلاًانه يمكن قيام مفاوضات فهذا مجرد افتراض .

3- اذا سلمنا جدلاً بشروط الوضع الاصلي وسلمنا كذلك بألاستراتيجية التي يلتزمها المتفاوضون كما عرضها رولز ،وكذلك بالمبدأين بأن المتفاوضين سيتوصلون اليهما بالضرورة ، يظل مع كل هذا قدر من الشك في ان هذين المبدأين يتطابقان فعلاً مع

إحساساتنا الفطرية بما هو عدل ،حيث ان الكثير من البشر لا يرى بالعمل لمصلحة الادنى فيه شئ من العدل . [178]

بعض النقاد أنتقد فكرة الموقف الأصلي ووجدوا انه يضفي فشلاً على مبادئ رولز للعدالة مهما كانت السلطة المعيارية التي يعلقها على اتفاق طوعي ونزيهة؛ لأنه لا يمكن أن يكون في موقف الأصلي أي اتفاق بالمعنى الصحيح للكلمة ؛ والسبب في هذا يرى احدهم ؛ هو أن حجاب الجهل يضمن أن هناك فعلا نقطة واحدة فقط ممكنه من عرض واحد فقط ، وبالتالي النتائج الصحيحة محتمل في الموقف الأصلي[179]. وهناك سبب اخر هو ان الاتفاق الذي يتوصل اليه الافراد في الموقف الاصلي هو من الاتفاقات الافتراضية ،أي انها ليست اتفاقات حقيقية على الاطلاق ،وبالتالي لا توجد قوة معيارية . على غرار كل من هذه الانتقادات ، ويعتبر البعض عرض رولز ليس وجهة نظر العقد الاجتماعي على الإطلاق. هو شيء مثل نظرية القانون الطبيعي الحديث . [180]

كما يميز رولز بين العدالة المؤسسية(المحلية) والشخصية (الاهلية) بشكل يعتبره البعض غير مبرر. حيث يفترض رولز ان تشكل المؤسسية والشخصية المتميزتان عن بعضها في مجالات الحياة والتي يتم تنظيمها بشكل صحيح من قبل مبادئ العدالة. حيث يرفض البعض هذا "الثنائي" ممن ينادون بـ" الأحادية" التي توجب على المؤسسات والأشخاص

([178]) ينظر: كرسبني ،انطوني وكيت مينوج : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، مادة رولز بقلم صموئيل كورفيتر،ترجمة ودراسة د.نصار عبد الله ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .مصر (بلا)،ص152

([179]) ينظر: كوكاذاس ، تشاندران وبيتي ، فيليب. *نظرية العدل ومنتقديها* ، مطبعة جامعة ستانفورد ، 1990. ص25

([180]) ينظر: فريمان ، صامويل : *العدل والعقد الاجتماعي* ، مطبعة جامعة أكسفورد ، 2007. ص20

إختراق أجزاء من مجال واحد اجتماعي أو أخلاقي بحيث ينظمون المبدأ نفسه أو مجموعة من مبادئ العدالة. من "منظور" الأحادية [181].

اما النقاد التحرريون فلم يعترضوا على رولز في مسألة تمييزه العدالة بين المؤسسات والأفراد ، وإنما على عرضه لفكرة العدالة الاجتماعية أو المؤسسية . أي أنهم اعترضوا على فكرة الهيكل الأساسي لموضوع العدالة على الإطلاق. فيقول روبرت نوزيك أنه بمجرد أن نأخذ على محمل الجد الحقوق الفردية ، وحقوق الملكية عامة، بما في ذلك حقوق الملكية الفردية خاصة ، سوف نجد أنه لا يوجد مساحة أخلاقية يسارية لتصور جون رولز للعدل المؤسساتي. أي انه تم استنفاد الأخلاقية التي تغطيها فضيلة العدالة (والعدالة التصحيحية كلما كان هناك انتهاك)[182]. رولز ، بطبيعة الحال ، يرفض أي مفهوم لحقوق الملكية المطلقة التي ينادي بها التحرريين.[183]

والعدالة والإنصاف هي عرضة لمزيد من اعتراضات ، على سبيل المثال ، إذا اقتضت العدالة الإخلاص لمبدأ الاختلاف وليس فقط على مستوى التصميم المؤسسي ،ثم عمل رولز على اختيار مواطنين طوعا وجعلهم يمارسون مواهبهم المنتجة والمفيدة اجتماعيا من أجل الإفادة لمن هم أقل حظا . وسوف تفعل ذلك من دون حوافز ولكن إذا كانت هناك

([181]) ينظر: باري ، بريان ، *والنظرية الليبرالية في العدالة* ، مطبعة جامعة أكسفورد ، 1973.

([182]) ينظر: ريتشاردسون ، هنري: *فلسفة رولز* ، 5 مجلدات ، جارلاند ، 1999. ص134

([183]) ينظر: فريمان ، صامويل : *العدل والعقد الاجتماعي* . ص35

الحوافز(فهي عبارة عن مزيد من الدخل للموهوب)وكل ذلك لصالح المساواة في التوزيع الدقيق للثروة والدخل.[184]

وشكا النقاد النسوية ، ابرزهم سوزان اوكين ومارثا نوسبوم ، أن رولز عندما تناول مفهوم العدالة الاسرية تناولها بشكل يخل بأهم موقع من التسلسل الهرمي الاجتماعي بين الجنسين، المحمي إلى حد كبير من الحريات الليبرالية مألوفة (حرية تكوين الجمعيات ، وحرية الدين ، وهلم جرا). وهم يؤكدون أنه إذا كان للمرأة أن تتمتع "بالقيمة العادلة للحريات السياسية" أو "المساواة في الفرص العادلة " فيجب تنظيم الأسرة بشكل شامل على أساس نوع الجنس حيث محايدة.[185]

نقاد آخرون ، قالوا ان من خلال معالجة مسألة التوزيع العادل (كيف يجب علينا توزيع السلع على الأشخاص ،على حد سواء) ،حيث يرون ان رولز فشل في التوزيع العادل لانه اهمل (الجنس أو العرق أو الأصل العرقي ، وهلم جرا) التي من خلالها يكون توزيع السلع على الأشخاص على حد سواء .[186] وهذا ليس المفهوم الصحيح لعدالة التوزيع التي تطرق اليه رولز ،حيث مقصد رولز من التوزيع العادل هو التوزيع على اساس القدرة والكفاءة والمستوى العلمي وكل ذلك اعتماداً على مستوى الخدمة التي تقدم للاقل حضاً .

([184]) كوكاذاس ، تشاندران ، أد. *جون رولز : التقييمات الحرجة* ، 4 مجلدات،مج2 ، روتليدج ، 2003. ص267

([185]) ينظر:ادورد ، كاثرين. *جون رولز* ، مطبعة جامعة ماكجيل ، 2007.

([186]) انظر : ريتشاردسون : *فلسفة رولز* ، 5 مجلدات ، جارلاند ، 1999 . ص136

كما اعترض على فكرة رولز الشهيرة أن العدالة في التوزيع ينطوي على التوزيع العادل للسلع الأولية. حيث يرى المعترضون ان السلع الأولية تعتبر وسيلة لتطوير وممارسة قدراتنا. اي انه يتوقف على الناس على اختلافهم وقيمة المبلغ نفسه بشكل متباين ،من حيث الثروة والدخل. وسيكون الشخص المعاق جسديا بحاجة الى مزيد من الثروة والدخل لتطوير وممارسة قدراته إلى درجة نفس الشخص القادر على العمل.[187]

وكان هناك خيط من خلال ما عرض من انتقادات ضد رولز وفكرة المجتمع لديه و مخاوف التزام الدولة الحياد. على وجهة نظر رولز ، يجب على الدولة أن تكون محايدة في هدفها (أي دولة يمكن أن تكون محايدة في آثارها) تجاه جميع التصورات المعقولة للمذاهب الأخلاقية أو الدينية أو الفلسفية. ويجب على الدولة فقط فرض مطالب العدالة ، ويمكن أن تهدف إلى تعزيز فضائل المواطنة الصالحة المرتبطة مطالب العدالة. ولكن أبعد من ذلك يجب أن تكون محايدة في أهدافها. [188]

يرد عليهم فريق اخر فيقول "يجب على الليبراليين إيجاد طريقة جيدة للتخلي عن التزامها الصارم حيال الدولة الليبرالية وعمل يأذن لدولة تهدف الى تحصين الأقليات الثقافية على الأقل من تلك القوى الاجتماعية التي تهدد بشكل سريع جدا لتدمير طريقتهم في الحياة".[189]

([187]) انظر : ريتشاردسون ، هنري : *فلسفة رولز* . ص136

([188]) ينظر: تيلز، روبرت. *رولز* ، وادز ورث النشر ، 2001. ص54

([189]) ينظر: ماندل ، جون ، *فما بقي من الليبرالية* ، وكتب لكسينغتون ، 2000. ص87

هذا فيما يخص "نظرية العدالة" اما "قانون الشعوب" فوجهت انتقادات كثيرة لكل فرع من القانون رولز للشعوب ، حيث ينتقد في هذا الكتاب منهجية رولز للشعوب بدل الدول ؛حيث ان مشكلة العدالة العالمية هي واحدة من العلاقات بين الدول ،فيرى منتقدي هذه النقطة في قانون الشعوب أن العلاقات بين جميع الأشخاص الطبيعية على كوكب الأرض ولا تحتاج الى قانون به نستغني عن قانون الدول او الدولي كما انتقد تصور رولز لحقوق الإنسان على حد سواء لمضامينه الفقيرة مزعومة والتبرير السياسي لها[190]

وإن هناك جانباً أخر من النقد لانتاج رولز المعرفي ،حيث نجد هناك من اقر بابداع رولز المعرفي ،فنجد هناك اساتذه عرفوا بقدرتهم النقدية المتعمقة من امثال بنيوارت هلميتاير ،و ج وارنوك G . J Warnock ومارشيل كوهين Marshal Cohen الذين وصفوا مؤلف "نظرية العدالة" بأنه (تحفه فريدة)او انه (اسهام لا نظير له في ميدان الفلسفة السياسية)[191].

ويرى غي هارشير مؤلف كتاب (العلمانية) ،ان رولز قد راهن رهاناً يقوم على الرغبة في انتاج هذا التقاطع مع الاعتراف بالخطر المزدوج الكامن في الخضوع للطوائف (وبالتالي في اعادة استعمار للمجال العام) ، وفي علاقة مع العدالة لن تكون سوى علاقة نظرية واهية للغاية واجرائية .[192]

([190]) ينظر: مارتن ،ريكس وريدي :قانون رولز من الشعوب :ويوتوبيا واقعية .بلاكويل ،2006 . ص76

([191]) ينظر: كرسبني ،انطوني وكيت مينوج : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة . ص131

([192]) ينظر: غي هارشير :العلمانية ، ترجمة رشا الصباغ وتدقيق د.جمال شحيد ، من منشورات دار المدى والمؤسسة العربية للتحديث الفكري ،(بلا تاريخ) .ص89

ان مجمل ماسبق عن الليبرالية و في الوقت نفسه عن جون رولز فهو من اهم السياسيين في القرن العشرين واعظم المنظرين في الليبرالية السياسية ونظريته "نظرية العدالة " هي من الكنوز المعرفية القيمة التي تحتوي على نظرية أي مجموعة أفكار، وهي في الوقت نفسه تصلح لوقت طويل لما فيها من معقوليه وبالتالي صلاحها للتطبيق على ارض الواقع وفي مختلف الشعوب ومع الشعوب المختلفة. كما انه فعلاً يستحق الدرس لما في فكره الخصب الكثير من الابداع رسمه رولز في وقت ما في نظريات قابلة للتطبيق ،فأذهلت الجميع .

المبحث الثاني

جون رولز و يورغن هابرماس

المبحث الثاني :

جون رولز و يورغن هابرماس

هابرماس من عمالقة الفلاسفة في الفترة الراهنة ، ولديه تعليقات حول فلسفة جون رولز . ولأهمية رأيه ارتأيت إن نجعل له مبحثاً على حده من اجل استعراض أرائه بشكل أوسع .

ولكن قبل كل شئ لابد من التعرف على هابرماس من اجل معرفة مكانته العلمية وبالتالي فهم ارائه فيما بعد

ولد يورغن هابرماس في دوسلدورف ، ألمانيا ، في عام 1929. وكان في الخامسة عشره من عمره عندما خسرت ألمانيا الحرب مع الحلفاء في عام 1945. وكما خدم في منظمة شباب هتلر ، والتي كانت قد أرسلته للدفاع عن الجبهة الغربية خلال الأشهر الأخيرة من الحرب. وكان والده أحد المتعاطفين مع النازية السلبي. وكان لدى هابرماس صحوة سياسية ،فقد بدأ مدخل هابرماس 'على الساحة الفكرية في عام 1950 مع نقد مؤثر لفلسفة مارتن هيدجر. درس الفلسفة في جامعات غوتنغن ، وبون ، وهو ما يتبع مع دراسات في الفلسفة وعلم الاجتماع في معهد البحث الاجتماعي في ظل ماكس هوركهايمر وثيودور أدورنو.[193] في عام (1960 و 1970) استاذا في جامعة هايدلبرغ وفرانكفورت. انه قبل بعد ذلك مديرا في معهد ماكس بلانك في شتارنبرج في عام 1971. وفي عام 1980 حصل

([193]) هابرماس ،يورغن :القول الفلسفي للحداثة ،ترجمة فاطمة الجيوشي ،منشورات دار الثقافة ،دمشق –سورية ،1995 . ص209 وما بعدها .

على جائزة أدورنو ، وبعد عامين حصل على الأستاذية في جامعة فرانكفورت ، وطال به المقام هناك حتى تقاعده في عام 1994.

تبنت نظرية هابرماس الحاسمة لمدرسة فرانكفورت ، وهو موقف آراء المجتمع الغربي المعاصر ، إشكالية الحفاظ على مفهوم العقلانية المدمرة أصلا في دفعة في اتجاه الهيمنة. وأشار هابرماس إلى سعي للهيمنة على الطبيعة عن طريق العلم والتكنولوجيا والمثالية في هذا الصدد ، وعلى الرغم من أن مدرسة فرانكفورت شملت التنوير في القرن 18 ، للدفاع عن جوانب التنوير حتى انه يعتقد أن تكون بناءة وتحررية ، ووضع حلول للمشاكل عن طريق استخدام العقل والمنطق ، مخترقا العادات ، والاتفاقيات التقليدية التي تشمل طاعة الصارم بين الدين وفرض حظر. لأن الحداثة أخذت على مشروع التنوير ، كثيرا ما فعلت ذلك من خلال التباكي على فقدان الإحساس بالهدف ، والتماسك والقيم الاجتماعية في المجتمع الحديث. لهابرماس ، هذا الميل غير فعال ، وبالتالي هو يدعو للعودة إلى عصر التنوير وتفضيل النظام والعقل.[194]

ان مساهمة هابرماس في جميع أعماله هو نقد للديمقراطيات الصناعية في الغرب من اجل المساواة الإنسانية مع الكفاءة الاقتصادية. كما ان لهابرماس القدرة على استخدام المنطق والتحليل ، والعقلانية ، يتجاوز الحساب الاستراتيجي لكيفية تحقيق الهدف الذي تم اختياره. إلا أن هناك إمكانية للمجتمع ، من خلال الاعمال الاتصالية التي تسعى جاهدة للتوصل إلى اتفاق بين الآخرين -- وهذا هو المنطق نفسه. وهابرماس شدد بالتالي على أهمية

([194]) السيرة الذاتية لهابرماس منشورة على موقع المدرسة الاوربية للدراسات العليا the European graduate schoolنقلا من الانترنت .

وجود "خطاب حالة مثالية" فيه المواطنون قادرون على إثارة المخاوف الأخلاقية والسياسية والدفاع عنها من قبل العقلانية وحدها.

وفي عام 1981 نشر هابرماس *نظرية الفعل التواصلي* ، والذي تطور في مفهوم الوضع المثالي خطاب والأخلاقيات المصاحبة للخطاب . وكان هذا الكتاب من المؤلفات المشهورة لهابرماس

وبعد ان تعرضنا الى سيرة هابرماس الان سندخل في دراسة العلاقة بينه وبين جون رولز، فنجد انهما ينحدران من تقليدين فلسفيين متباينين. فرولز الذي أتى من تراث سيطر عليه الفكر السياسي النفعي المُشبَع بنزعة وضعية واضحة، يدافع عن أن الفلسفة السياسية بإمكانها أن تتخذ طابعا عموميا من دون أن تصادر أو تَصُدَّ التعدد الذي يميز الديمقراطيات المعاصرة، ومن دون أن تَصدر عن الافتراضات الميتافيزيقية المثيرة للجدل التي تسنِد هذا التعدد الذي تحتضنه هذه الديمقراطيات.

أما هابرماس الذي شَبَّ عن الطوق بعد أن نَهَل من تراث مدرسة فرانكفورت، سليلة كانط وهيغل وماركس، فقد جدد النظرية النقدية وأعاد بناءها بناء معياريا على بنية التواصل البشري العمومي بعيدا، كما يدعي، عن كل فلسفة تاريخ كبرى أو ميتافيزيقا، مثله في ذلك مثل رولز.

لكننا عندما ننظر إلى الأسباب التي قادت هابرماس ورولز إلى الحكم على المشاريع التأسيسية في الفلسفة السياسية بأنها مشاريع متهافتة، تلفها أسبابا مختلفة في طبيعتها.

أسباب هابرماس فلسفية خالصة أو تكاد، لها صلة وثقى بنقد النزعة التأسيسية الفلسفية ونقد الميتافيزيقا. فهو عندما يخلص في تحاليله إلى تصور مسطري للعقل (راجع كتابه: *التفكير ما بعد الميتافيزيقي*)، إنما ينتهي إليه انطلاقا من خلفيات هذا النقد الفلسفي في المقام الأول. أما أسباب رولز فتعد في الحقيقة أسبابا بعيدة عن الجانب الفلسفي وأكثر التصاقا بالجانب العملي. رولز يرى أنه إذا كان الغرض المتوخى من الفلسفة السياسية أن تصوغ إطارا يسمح بتسويغ سياسة يمكن للكل أن يقبلها، فإن غرضا كهذا لا يمكن الوصول إليه بالاستناد إلى النزعة التأسيسية، لأن الإجماع الطوعي على الأسس القصوى للأخلاق السياسية غير ممكن في سياق المجتمعات التعددية الحرة.[195]

رولز وهابرماس يتفقان إذاً على أن العقل لا يطوي في ذاته نموذجا ملموسا للصورة التي يكون فيها المجتمع عادلا وخيرا. لكن، ألا يصد هذا المسلك السلبي الذي يصطنعه رولز وهابرماس إمكانَ قيام مشروع فلسفي سياسي إيجابي؟ أليست الفلسفة السياسية مشروعا تسويغيا في نهاية المطاف، أي مشروعا يروم إبراز الكيفية التي تكون بمقتضاها السلطة المُقيِّدة المُجسَّدة في المؤسسات السياسية سلطةً مشروعة؟ ثم أليس التأثير القوي الذي مارسه رولز وهابرماس يرجع في جزء منه إلى الجواب النسقي الذي اقترحه كل منهما لهذا الإشكال؟

---

(195) Habermas, J. “Reconciliation Through the Public use of Reason: Remarks on John Rawls's Political Liberalism”. *The Journal of Philosophy,* Vol. 92, No. 3 (Mar., 1995), 109.
نقلا عن هابرماس ،يورغن :القول الفلسفي للحداثة ،ترجمة فاطمة الجيوشي ،منشورات دار الثقافة ،دمشق –سورية ،1995 . ص209 وما بعدها

الحديث عن تجنب الموقف التأسيسي ينبغي في الواقع أن يفهم في سياق هذا النقاش الميتافلسفي في معناه العام، وأن يُذَيَّل بكثير من الاحتياطات التي تُخفف من غلوائه. فالتسويغ شئنا ذلك أم أبينا يجب أن يحيل في نهاية المطاف على أساس معين. مسلسل التسويغ، بعبارة أوضح، لا يمكن أن يتواصل إلى ما لا نهاية؛ يتعين عليه أن يتوقف عند حد ينتهي بالضرورة إليه. رولز يلجأ، مستلهما تشومسكي، إلى الحدوس الأخلاقية السياسية التي يملكها المواطنون بالفطرة، أي إلى الحدوس التي تمكنهم من الانخراط في التعاون الاجتماعي مع غيرهم على أساس حدود يشتركون سويا في قبولها، ويجعل من هذه الحدوس أساسا لا نحتاج بعده إلى أساس آخر وراءه لتسويغ أغراض الفلسفة السياسية. يرى هابرماس من جهته في مبادئ التخاطب العقلاني بواسطة اللغة ، الإطارَ الذي لا يمكن تلافيه في هذا الشأن؛ لأنه الإطار الذي يُنَشَّأُ فيه المواطنون اجتماعيا. لا أحد منهما يركب رأسه ويدعي أن أساسه يحيل على مبادئ ميتافيزيقية قصوى. وبهذا المعنى تكون فلسفة كل منهما غير تأسيسية. إنهما لا يزيدان في فلسفتيهما، كما يدعيان، عن كونهما يمثلان أو يعكسان أو يعيدان بناء ممارسات موجودة سلفا (الحدوس لدى راولز، ومبادئ التخاطب اللغوي عند هابرماس)؛ ولا يمكن لما يعيدُ بناءَه كل منهما أن يكون صالحا إلا بقدر ما ينجح في عكس هذه الممارسات وتمثيلها. الفلسفة عندهما، باختصار شديد، تلعب دور الوسيط بين الأشياء فقط لا غير ([196]) .

([196]) Mouffe, Ch. "Deconstruction, Pragmatism and the Politics of Democracy" in *Deconstruction and Pragmatism*. Edited by Chantal Mouffe. Routledge , 1996. السيرة الذاتية لهابرماس منشورة على موقع المدرسة الاوربية للدراسات العليا the European graduate school نقلا من الانترنت .

من الجهة العامة نستطيع القول إن مشروعي رولز وهابرماس ينتميان إلى الأسرة نفسها. وهذا رأي رائج في كثير من الكتابات التي تناولت أعمالهما. بل إن هابرماس ورولز نفسيهما يعترفان بذلك في السجال الذي دار بينهما في *مجلة الفلسفة* (*The journal of philosophy*) في منتصف التسعينات. غير أننا عندما نعود إلى هذا السجال نفسه نعثر على كثير من الفروق بين المشروعين.

بل إننا نجد رولز يتهم صراحة هابرماس بالميل إلى تأسيس الفلسفة السياسية على أسس تقع خارجها. يقول رولز في سياق تحديد مشروعه وبيان الفرق بينه وبين مشروع هابرماس :

"**الفكرة الرئيسة [عندي] هي أن الليبرالية السياسية تتحرك في نطاق مقولة السياسي ولا تتخطاه، وتترك الفلسفة في مكانها حيث هي. إنها تترك كل أنواع المذاهب الدينية والميتافيزيقية والأخلاقية على حالها، هي وتقاليدُها العريقة في التطور والتأويل. الفلسفة السياسية تعمل على نحو مستقل عن هذه المذاهب، وتعرض نفسها في حدودها الخاصة بوصفها شأنا مستقلا. لهذا السبب لا يمكنها أن تستدل أو تدافع عن قضيتها باللجوء إلى أي مذاهب شاملة (= ميتافيزيقية) أو بانتقادها أو رفضها**". [197]

[197] see: Rawls, J. “Political Liberalism: Reply to Habermas” *The Journal of Philosophy,* Vol. 92, No. 3 (Mar., 1995), 132- 180.

ثم يستطرد مفصلا القول في الكيفية التي يفهم بها هابرماس الأمور: "من زاوية أخرى يكون موقف هابرماس مذهبا شاملا، يتناول أمورا كثيرة تتخطى مجال الفلسفة السياسية. فالهدف الذي ترمي إليه نظريته عن الفعل التواصلي هو عرض رصد عام للمعنى والإحالة والصدق أو الصلاحية، رصدٍ يتناول العقل النظري كما يتناول صورا شتى من صور العقل العملي. فهو يرفض النزعة الطبيعية والنزعة الانفعالية في الاستدلال الأخلاقي، ويتوق إلى الدفاع عن العقل النظري والعملي. زد على هذا: إننا نُلفيه في مناسبات كثيرة ينتقد الرؤى الدينية والميتافيزيقية.... [يستشهد رولز هنا بنص من مقدمة كتاب هابرماس: *بين الوقائع والأعراف*]. الليبرالية السياسية عندي لا تعمد أبدا إلى إنكار هذه المذاهب أو التشكيك فيها متى ما كانت معقولة سياسيا. فكون هابرماس يرى غير ذلك في هذه النقطة الجوهرية يعد جزءا من رؤيته الشاملة".

نحن إذا أمام فهم يتهم هابرماس بالشمولية التي تعني في اصطلاح رولز أن هابرماس يصدر في فلسفته السياسية عن مواقف ميتافيزيقية خارجة عن الفلسفة السياسية. المشروعان بعبارة أخرى لا ينتميان إلى الأسرة نفسها..!

إن هذه القراءة لمشروع هابرماس لا ينفرد بها رولز وحده. نجدها عند ديريدا وعند رورتي أيضا. فهما بدورهما يرفضان دعوى هابرماس القائلة بوجود صلة وثقى بين الكونية والعقلانية من جهة، والديمقراطية من جهة أخرى، أي يرفضان النظر إلى الديمقراطية الدستورية بوصفها لحظةً في مسيرة تطور العقل مقرونةً بظهور الصور الكونية للقانون

والأخـلاق. إنهمـا لا يقـولان بوجـود أسـاس، كالعقـل أو مبـادئ التواصـل العقلانـي، يستطيع أن يضمن إمكان قيام صيغة في الحجاج تتعالى عن شروط إنتاجها الخاصة [198]

لكن ما يجب ألا يغيب عن بالنا هنا هو أن الخلاف الذي نتحدث عنه بين رولز وديريدا ورورتي من جهة، وهابرماس من جهة أخرى، خلاف فلسفي وليس سياسيا. فالنقد الذي يوجهونه إلى العقلانية والكونية، أو إلى المنحى التأسيسي في مشروع هابرماس لا يحول بينهم وبين التزامهم القوي، مثل هابرماس نفسه، بالدفاع عن الشق السياسي من فكر الأنوار المتصل بالمشروع الديمقراطي. فهم يشاركونه التزامه بسياسات الديمقراطية ولا يخالفونه الرأي إلا لأنهم لا يرون مثله أن الديمقراطية تحتاج إلى أسس فلسفية تنهض عليها، ولا يذهبون مذهبه القائل إن مؤسسات الديمقراطية لا تكون في مأمن إلا إذا استندت إلى أساس عقلاني.

موقـف هابرمـاس هـذا إذا نحـن تأملنـاه مليـا يكتسـي طابعـا "إمبرياليـا"؛ لأنـه يسـتلزم تقـديم مؤسسـات المجتمعـات الغربيـة الليبراليـة كمـا لـو أنهـا مؤسسـات تعـرض حـلا عقلانيـا لمشكلة الاجتماع البشري، أي تعرض حلا يتعين بالضرورة على الآخرين أن يتبنوه إذا أرادوا الإقلاع عن لاعقلانيتهم.

فهابرماس لم يتخل، على الأقل حسب رورتي، عن المهمة المستحيلة التي تنشد العثور على مقدمات محايدة من الناحية السياسية تكون سائغة في أعين كل الناس تسمح لهم باستنتاج

(9)see: Mouffe, Ch. "Deconstruction, Pragmatism and the Politics of Democracy" in *Deconstruction and Pragmatism*. Edited by Chantal Mouffe. Routledge , 1996. السيرة الذاتية لهابرماس منشورة على موقع المدرسة الاوربية للدراسات العليا the European graduate school نقلا من الانترنت .

واجب السير قدما في السياسات الديمقراطية. فهذه السياسات تستحق في نظر نقاد هابرماس أن ندافع عنها ونناضل من أجلها، لكن من العبث أن نُفَصِّل مشروعا يروم البحث عن حجج لا تكون متوقفة على السياق تؤيدها. (199)

(199) See :Mouffe, Ch. "Deconstruction, Pragmatism and the Politics of Democracy" in *Deconstruction and Pragmatism*. Edited by Chantal Mouffe. Routledge , 1996. السيرة الذاتية لهابرماس منشورة على موقع المدرسة الاوربية للدراسات العليا the European graduate school نقلا من الانترنت .

الخـاتمة

وبعد فقد توصلت هذه الدراسة المتواضعة إلى عدة نتائج ،يمكن إجمالها على النحو الآتي :

اولاً: نجد ان الانتقادات التي توجه للمذهب الليبرالي عامة وجون رولز خاصة ،هي اما من العارضين له في المذهب وهذه ردة فعل طبيعية (ان لا يمدح عضو مذهب معين ،مذهب أخر أو أعضائه) .أو متشددين يظهرون صورة العصور الوسطى ودور رجال الكنيسة فيها ،إذ يرفضون كل شئ او رأي غير صادر عن الكنيسة لانهم يشعرون بالخطر الذي سيقع عليهم من جراء أي حرية (مهما كان شكلها ،فكرية ،او في التصرف) .

ثانياً: نظرية العدالة بما هي إنصاف عند "راولز" تتحدد فيما يلي:

2- كل الناس أحرار (الحرية) ولهم الحق في النسق الموسع للحريات الأساسية بالتساوي (المساواة).

2- من الطبيعي أن تنتج عن هذا النسق الموسع للحريات فوارق اجتماعية واقتصادية هائلة بين الناس لكن شريطة أن تنظم بالكيفية التالية:

أ – أن تكون في مصلحة الأكثر حرمانا أي ضحايا النظام الرأسمالي.

ب – أن تكون نابعة من مبدأ تكافؤ الفرص في الوظائف. لا يرى رولز مانعا في بقاء اللامساواة لكن شرط أن تكون في مصلحة الأكثر حرمانا والأقل حظا من الناس، وإذا كانت أيضا حصيلة تكافؤ الفرص التي يتيحها النظام الليبرالي الذي يكون قد قبل بمبدأ العدالة كإنصاف.

ثالثاً: حصول توافق جماعي حول مبادئ الليبرالية التي نلخص أهمها في ما يلي:"المساواة، الحرية، التعاون الاجتماعي"،اذ يرفض البعض الليبرالية دون رؤى حقيقية بل ويخلطون اوراق الليبرالية ببعضها وشكلون صور يجعلونها حججهم على الليبرالية ؛لانهم أتخذوا من موقفهم هذا الاساس والهم الاول حيث صار كل جهدهم منصب في نقد الليبرالية نقد سلبي دون النظر الى الجوانب الايجابية في الليبرالية الحقيقية ذات الاسس والتجارب الفعلية والدور الفعال في الكثير من الجوانب في الحياة .

رابعاً: يعتبر رولز ان نظريته في العدالة ونظريته في قانون الشعوب (عند توظيف دراستهما معا) من حيث الاقرار بمبادئ العدالة و توظيفها في علاقة الشعوب الليبرالية مع بعضها البعض من جهة، واتجاه الشعوب غير الليبرالية من جهة اخرى ،يمكن الاستفادة منها بشكل كبير جدا على مستوى الواقع ؛وذلك للوصول الى افضل النتائج على مستوى العلاقات العالمية من اجل السلام الدائم.

خامساً: اعتماد التسامح كسلاح سحري في ايدي الشعوب الليبرالية تستعمله في علاقتها مع غير من غير الليبرالي (الآخر)

سادساً: حدد رولز دور الدولة في بعض الصلاحيات التي لا يجوز للحكومات تجاوزها اما الشعوب فلها بافي الصلاحيات ،وابرز ما على الحكومات هو تأمين وحماية مصالح الافراد ،وغيرها.

سابعاً: من مجمل دراسة فلسفة رولز نجد انه استسقى في بلورة هذه الفلسفة من جون لوك وروسو في فلسفة "العقد الاجتماعي" لديهما ،ومن كانط في "مشروعه للسلام

الدائم"وغيرهم من الفلاسفة ،مما بلور لديه فكر خصب انتج اعمال ضخمة في ميدان الفلسفة عامة والسياسة خاصة .

تاسعاً: أعتقد بأن هذا يحفزنا للتعرف على هذه التجربة الغربية والتعرف على مقوماتها وسلبياتها التي تجر بها الى حافة الهاوية ، كي نستفيد بشكل عقلاني في النهوض بمجتمعاتنا من خلال الاهتمام برقيها وازدهارها الحضاري والاقتصادي؛وذلك لاننا لدينا التأريخ والارث الحضاري من جهه، ورأس المال والثروات الطبيعية من جهه اخرى ،فإن فهمنا معادلة رقي الغرب بشكل ايجابي لعلنا سنكون التالين في تسلم ما اسموه هم الغرب بـ"القطب الواحد " ،ولندع عنا الهجوم على التجربة الغربية النظر الى سلبياتها فقط ،مما يجعلنا ندور في نفس الدائرة المغلقة دون النظر الى بعيد ،وانما (في هذه الحالة)كل همنا نعت الغرب وهو يقدم نفسه الى الامام ،ونحن ماذا؟ متى الصحوة من هذه الحالة والتي لا اعرف ما اسميها لعل التسمية التي اطلقها تجرحنا ، ولعلنا ان اطلقناها تكون هي الصحوة لعل من هذه الدراسة تحقق هدفها من ايضاح مسألة وتساهم في التقدم .

وننتقل من ذات موضع الدرس إلى "ذات الدارس " إنما هي خطوة في الطريق لنأخذ مكاننا الصحيح في هذا العالم، وذلك من أجل الوصول إلى حوار هادف وبنّاء مع الغرب . وهذا ينتقل بنا إلى ما قاله فؤاد صادق مفتي عن دور " المدافع" وممارسة "رد الفعل" على كل فعل يصدر عن الآخر من دون أن يكون لنا استراتيجية واضحة للتفاعل مع هذه التطورات المحتملة والتأثير فيها قبل أن ترغمنا على التأثر بها أو "الإذعان " لنتائجها بكل سلبياتها."

وإن أعمال جون رولز ،إذا ما اطلعنا عليها بشكل عملي هادف فإنها تساعدنا على التطور وتسلم المرحلة التالية من مسيرة التأريخ.

المصادر والمراجع

المصـادر و المراجع

*القران الكريم

اولاً: الكتب العربية

- إسلام، د. عزمي:جون لوك ،دار الثقافة للطباعة والنشر ،القاهرة، بلا تاريخ .

-:امين ،احمد،زكي نجيب محمود :قصة الفلسفة الحديثة .القاهرة .1936.

-أمين، احمد: قصة الفلسفة اليونانية. القاهرة، 1949

-ــــــــــــــ ، زكي نجيب محمود "قصة الفلسفة اليونانية "ط2،القاهرة 1953.

- بالروف ،د. محمد حمد: الفلسفة السياسية . دار النهضة العربية،ط1 بيروت –لبنان 2006

-بحري ، لؤي: دراسات في علم السياسة. مطبعة شفيق، بغداد 1967.

- بدوي، د ثروت: أصول الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م.

-ـ : النظم السياسية . القاهرة . 1989.

- بدوي،عبد الرحمن :الاخلاق النظرية ،وكالة المطبوعات ،الكويت 1975م

-ـــ : إمانويل كانط . ط1 ،الكويت 1977م .

- بدوي،محمد طه :فلسفة العصور الوسطى ،وكالة المطبوعات ،الكويت بالاشتراك مع دار العلم بيروت 1979 .

-بسيوني عبد الغني :نظرية الدولة في الاسلام ،الدار الجامعية ،بيروت –لبنان 1986.

-بلدي ،نجيب: ديكارت،ط2، مصر (بلا)

- بوزيد ،بومدين : فلسفة العدالة في عصر العولمة ،ط1 ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،بيروت 2009 .

–الجديدي ،محمد :الحداثة ومابعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي ، منشورات الاختلاف ،دار العربية للعلوم ناشرون ط1 بيروت 2008 .

–144–

– الجرف ، د.طعيمة ، نظرية الدولة والأسس العامة للتنظيم السياسي ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، 1964.

– درويش، إبراهيم، النظام السياسي دراسة فلسفية تحليلية، القاهرة (بلا)

–سعفان (حسن) : اساطين الفكر السياسي،. القاهرة 1959.

– الشاوي، د. هشام: مقدمة في علم السياسة، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد (بلا)

-الشابندر،غالب حسن : الآخر في القرآن،سلسة ثقافة التسامح،مركز دراسات فلسفة الدين ،بغداد 2005.

– عبد المعطي ،د. علي : الفكر السياسي الغربي. مطبعة دار الجامعات المصرية، مصر 1979.

– العدوي ، عبد الفتاح حسين ، الديمقراطية وفكرة الدولة ، مؤسسة سجل العرب دار الاتحاد العربي للطباعة ، 1964 .

–العروي ،عبد الله : مفهوم الحرية .المركز الثقافي العربي ،ط5،بيروت– لبنان 1993 .

_ ـ: من ديوان السياسة . المركز الثقافي العربي ،ط1 بيروت–لبنان ،2009 .

– عودة ،د.محمود :اسس علم الاجتماع دار النهضة العربية ،بيروت –لبنان(بلا) – قربان، ملحم: المنهجية والسياسة، درا العلم للملايين، ط3، بيروت 1977.

–ــــ: قضايا الفكر السياسي –العدالة–ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت 1992.

– قطب ، محمد :مباحث فكرية معاصرة .ط10.دار الشروق.القاهرة ،مصر .2008م.

– كامل ،فؤاد:الغير في فلسفة سارتر ،دار المعارف ،مصر (بلا) .

– كرم ، يوسف ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط3، دار العلم، بيروت ، 1977م

–ــ : تاريخ الفلسفة اليونانية،ط5، القاهرة .1970

–ــ:تاريخ الفلسفة الحديثة ،القاهرة .1979

- المحمودي ، علي : فلسفة كانط السياسية :الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق ،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 2007 .
- مدكور،ابراهيم :المعجم الفلسفي .مجمع اللغة العربية ،الهئية العامة للمطابع الاميرية. القاهرة.1983 .

-المديني،توفيق :التوتليتارية الليبرالية الجديدة والحرب على الارهاب ،منشورات اتحادالكتاب العرب ،دمشق 2003 .
- المصباحي ، محمد : فلسفة الحق ،كانط والفلسفة المعاصرة ،منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط .ط1 الدار البيضاء 2007.
- مصطفوي ،محمد :نظريات الحكم والدولة ، دراسة مقارنة بين الفقة الاسلامي والقانون الدستوري الوضعي ،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي /سلسة دراسات حضارية ،ط2 بيروت-لبنان (بلا)
-(مطر) أميرة حلمي:الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها. دار المعارف، مصر 1988.
-ــ: في فلسفة السياسة. القاهرة 1978.
- المولى ، د. سعود : امريكا ديموقراطية الاستبداد . ط1،دار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت - لبنان 2009
- فخري،ماجد: تاريخ الفلسفة اليونانية .ط1، دار العلم للملايين ،بيروت -لبنان 1991م.
- فؤاد صادق مفتي." نعم للحوار ..لا للمواجهة." في الشرق الأوسط ،ع 5454،3نوفمبر 1993م.
-هيكل ، محمد حسين، جان جاك روسو حياته ومؤلفاته ، ج2، مطبعة الشباب، القاهرة ، 1924م.

ثانياً:الكتب المترجمة :

-بوترين ،يوريس: قاموس موجز للاصطلاحات السياسية . دار النشر وكالة "نوفوسين" 1983 .

- بوشنسكي.ا.م:الفلسفة الحديثة في اوربا.ترجمة د.عزت قرني ،سلسلة عالم المعرفة .1990.

-بول هيرست وجراهام طومبسون"ما العولمة –الاقتصاد العالمي وامكانيات الحكم " ترجمة د.فالح عبد الجبار ،سلسلة عالم المعرفة ، العدد273،سبتمبر 2001

- بيوري: حرية الفكر. ت: عبد العزيز اسحق. القاهرة .(بلا)

- توشار ،جان :تاريخ الفكر السياسي ،ترجمة الدكتور علي مقلد ،الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت – لبنان.بلا.

-جوزيف فوجت ، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان ، ترجمة د.منيرة كروان ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، عام 1999م.

-دودج، مارتن: اعرف مذهبك . ترجمة احمد المطركي ، بيروت ،لبنان 1972.

- ديكارت :العالم او كتاب النور ،ترجمة اميل خوري ،ط1،بيروت 1999 .

- روسو ،جان جاك : الاعترافات ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، لبنان،ج2،ط1، 1968م.

-ـــ: اصل التفاوت بين الناس. ت: عادل زعيتر، دار المعارف مصر 1954.

- ـــ:العقد الاجتماعي، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ط1، 1983.

ـــ: العقد الاجتماعي و مبادئ القانون السياسي، ترجمة بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972 .

- رولان، دومان، أفكار روسو ، لجنة التأليف ترجمة د.محمد يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1961.

- روس ،جاكلين : الفكر الاخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا،عويدات للنشر والتوزيع ،بيروت 2001.

- رولز ، جون : العدالة كإنصاف :اعادة صياغه . ترجمة : د. حيدر حاج اسماعيل . المنظمة العربية للترجمة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ديسيمبر 2009

-ـــ: قانون الشعوب ،ترجمة ناطق خلوصي ،مراجعة وتقديم فاتنة حمدي ، بيت الحكمة ،بغداد-العراق 2006م

-ريكور ،بول : العادل ،ج1 ترجمة جماعة من المترجمين ، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون "بيت الحكمة " تونس .(بلا)

-سابن، جورج ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة د.راشد الراوي ، تقديم احمد سويلم العمري ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1971 .

- ساندل ،مايكل ج. : الليبرالية وحدود العدالة . ترجمة محمد هناد مراجعة الزبير عروس وعبد الرحمن بوقان ،المنظمة العربية للترجمة ،ط1 ، بيروت – لبنان 2009 .

-سعود بن محمد البشر.السقوط من الداخل: ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي.دار العاصمة،الرياض 1414هـ نقلاً عن هاملتون هوز .السقوط التراجيدي: أمريكا عام 2020.

- شفاليه (جان جاك): المؤلفات السياسية الكبرى من مكيافيللي حتى ايامنا. ترجمة: الياس مرقص، ط1، بيروت، 1980.

– غي هارشير :العلمانية ، ترجمة رشا الصباغ وتدقيق د.جمال شحيد ، من منشورات دار المدى والمؤسسة العربية للتحديث الفكري ،(بلا)

– فارلي كولن :مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة.ترجمة د.محمد زاهي بشير المغيربي ود.نجيب المحجوب الحصادي ،ط1،منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي 2008

– فولغين (ف): فلسفة الانوار. ت: هنربيت عبودي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1981.

–فيليب مانع ، جيل دولوز أو نسق المتعدد ، ترجمة : عبد العزيز بن عرفة ، مركز الإنماء الحضاري ، دمشق ، سوري ، ط1 عام 2002م.

– كانط ،إمانويل : اسس ميتافيزيقا الاخلاق ،ترجمة وتقديم فتحي الشنيطي ،دار النهضة العربية ،لبنان 1970 م.

–ــ :مشروع للسلام الدائم ،ترجمة وتقديم د. عثمان امين ،ط1، مكتبة انجلو المصرية ، القاهرة 1952م .

–كرسبني ،انطوني وكيت مينوج : اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة، مادة رولز بقلم صموئيل كورفيتر ،ترجمة ودراسة د.نصار عبد الله ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب .مصر (بلا)

– كيتل، دايموند كارفليد ، العلوم السياسية ، ترجمة د.فاضل زكي محمد ، مراجعة احمد ناجي القيسي ، بغداد ، 1960م.

–لالاند ، اندرية :موسوعة لالاند الفلسفية .تعريب خليل احمد خليل .منشورات عويدان ،بيروت – باريس ،مج2 ، ط2، 2001 .

- لوك ،جون : – تطور الفكر السياسي .الكتاب الرابع ترجمة وتقديم د. راشد البراوي

–ـ: الحكم المدني. ترجمة: ماجد فخري، بيروت 1959

–ـ: رسالة في التسامح. ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط1، 2006، بغداد.

–مايكل هاردت و أنطونيو نيغري –الإمبراطورية – امبراطورية العولمة الجديدة،تعريف فاضل جتكرو مراجعة د.رضوان السيد. الناشر : مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ،الرياض 2002.

– هابرماس ،يورغن :القول الفلسفي للحداثة ،ترجمة فاطمة الجيوشي ،منشورات دار الثقافة ،دمشق –سورية ،1995 .

– هنري،توماس:اعلام الفلسفه كيف نفهمهم ترجمة متري امين ،القاهرة 1964.

- هيجل: علم ظهور العقل ، ترجمة : مصطفى صفوان ، ط 2 ، دار الطليعة بيروت ، 1994م

ثالثاً:المعاجم والموسوعات

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. مج12. دار صادر، بيروت، 1375هـ-1956م.

- البعلبكي (منير): قاموس المورد القريب. انكليزي- عربي، ط5، بيروت2004.

-ديدية،جوليا :قاموس الفلسفة

- زيادة ،معن :الموسوعة الفلسفية العربية (الجزء الثاني – القسم الثاني). ط1، معهد الانماء العربي، 1988.

- صليبيا،د.جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ج1 ، 1973م.

-الكيالي ،عبد الوهاب:موسوعة السياسةج1،ج2،ج3 ،بيروت ،لبنان 1974

-مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية العالمية ،ج21،ط2،دار ونشر أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.السعودية. 1999م.

-معلوف، لويس. المُنجد في اللغة. مطبعة غدير، ط4، إيران، 1423هـ.

-المعجم الفلسفي المختصر. ترجمة: توفيق سلوم، مطبعة دار التقدم، موسكو، 1986.

رابعاً: المجلات والدوريات

-البيلاوي .حازم:عن الديموقراطية الليبرالية :قضاياومشاكل مجلة افاق الاسلام عدد4، . 1994

- جوكس، آلان في بحثه " نظام التحالفات الجديد في الاستراتيجية الأمريكية " المنشور في دفاتر الدراسات الاستراتيجية في ربيع 1997.

- سروش ، عبد الكريم : المرتكزات النظرية لليبرالية ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ،تصدر عن مركز دراسات فلسفة الدين والكلام الجديد ،بغداد عدد24-25 .صيف وخريف2003 . ص147 .

-الفياض ، عامر حسن : الليبرالية بين المذهب والنمهج . في حلقة نقاشية بعنوان : الليبرالية والآخر في كتاب قانون الشعوب . في بيت الحكمة .بغداد -العراق 25\6\2006 .

-مقال بعنوان "الليبرالية والآخر "قراءة في كتاب قانون الشعوب المنشور في جريدة الصباح في سبتمبر 2007

-مجلة كتابات معاصرة ، العدد 37 أيار- حزيران 1999م ، ياسين بو غديري ، مشكلة الآخر ف الفلسفة المعاصرة ، ص94.

-مقال : في الدولة الليبرالية - مجلة المؤرخ العربي - عدد 35-.

-الربيعي،علي ،حسن :الوفاقات المعقدة في نظرية جون رولز. جريدة (الزمان) الدولية - العدد 3118 بالتاريخ 2008/10/11

خامساً: الرسائل والاطاريح

- سلومي ،حلا كاظم: اليبرالية في الفلسة الغربية الحديثة ،رسالة ماجستير \جامعة بغداد ،كلية الاداب ،قسم الفلسفة 2007.

- قيس ناصر راهي "المرتكزات الفلسفية لإطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات في الفكر الامريكي السياسي المعاصر "جامعة الكوفة ،كلية الاداب ،قسم الفلسفة ،2009 م .

سادساً: الكتب الاجنبية

- باري ، بريان ، والنظرية الليبرالية في العدالة ، مطبعة جامعة أكسفورد ، 1973.

-بيجوفتش Keneth H. Blanchard and Paul Hersey. Management of Organisational Behaviour :Utilizing Human Resures.2ed Edition(Englewood Cliffs, N. J.:PrenticeHall,1972

- ريتشاردسون ، هنري : فلسفة رولز ، 5 مجلدات ، جارلاند ، 1999 .

- فريمان ، صامويل : العدل والعقد الاجتماعي ، مطبعة جامعة أكسفورد ، 2007 .

- مارتن ،ريكس وريدي : رولز والحقوق ، مطبعة جامعة كانساس ، 1985.

- ـــ:قانون رولز من الشعوب :ويوتوبيا واقعية .بلاكويل ،2006

- ماندل ،جون : فما بقي من الليبرالية ،كتب لكسينغتون،2000 .

- Audard ، كاثرين. جون رولز ، الملكة ، مطبعة جامعة ماكجيل ، 2007.

Autonomy and .eds., 1998 Kneller, Jane and Sidney Ax inn-

Social Philosophy Community: Readings in Contemporary Kantian

Albany: SUNY Press

Freedom: A Study of Kant's Method Laws of . Gregor, Mary, 1963-

. Metaphysik der Sitten of Applying the Categorical Imperative in the

Oxford: Basil Blackwell

. System of Nature and Freedom Kant's . Guyer, Paul, 2005-

Oxford: Oxford UP

-Habermas, J. “Reconciliation Through the Public use of Reason:

Remarks on John Rawls's Political Liberalism”. The Journal of

Philosophy, Vol. 92, No. 3 (Mar., 1995)

- كوكاذاس ، تشاندران وبيتي ، فيليب. نظرية العدل ومنتقديها ، مطبعة جامعة ستانفورد ،

.1990

- كوكاذاس ، تشاندران ، أد. جون رولز : التقييمات الحرجة ، 4 مجلدات،مج2 ، روتليدج

، 2003

La mondialisation au dela des mythes- Paris- la decouverte, -

Les dossiers de L etat du monde,(P25) -1997

John: The Political Thought of John Locke.-

-Mouffe, Ch. “Deconstruction, Pragmatism and the Politics of Democracy” in Deconstruction and Pragmatism. Editedby Chantal Mouffe. Routledge , 1996.

Oxford:– System of Nature and Freedom Kant's .Guyer, Paul, 2005

O x f o r d U P

- John Rawls, Theori de la Justic , traduit par Catherine Audard, Editions du Seuil, 1993, p.37.

- Rawls, J. “Political Liberalism: Reply to Habermas” The Journal of Philosophy, Vol. 92, No. 3 (Mar., 1995),

Totowa, NJ: . Political Philosophy Kant's . Riley, Patrick, 1983-

.Rowman and Littlefield

- تيلز ، روبرت. رولز ، وادز ورث النشر ، 2001.

سابعاً: المواقع الالكترونية

- Rawlsian Reasonableness and the Creation of Citizens من قبل Bridges Thomas: "جون رولز " نقلا من الانترنت 2010\7\8
http://cepa.newschool.edu/het/profiles/rawls.htm

-"جون رولز " نقلا من الانترنت 2010\7\8
http://cepa.newschool.edu/het/profiles/rawls.htm

- كين :جون رولز فيلسوف سياسي مؤثر ، مقال في الجريدة الرسمية لجامعة هارفارد 25نوفيمبير 2002 www.Harvord University Gazette

-رؤوف (هبة): الليبرالية ايديولوجية مراوغة افسدها رأس المال. 8/ 8/ 2004.
htttp:\\www.islamonline.net \servlet\satellte?c=article_C…Zone

- الخراشي ،سليمان بن صالح "ثقافة التلبيس 10:مصطلح الآخر "الاحد27رجب 1425هـ
http:// www.saaid.net\warathah\alkharashy\m\59.htm

-ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة، "
\http:\\ar.Wikipedia.org\wiki(الليبرالية،التسامح، الآخر،السلطة) .

- الميلاد ،د.زكي "مفهوم الاخر" 2009\6\19
http\\www.annabaa.org\nbanews\2009\06\190.htm

-الفقيهي ،هادي :"المشهد الثقافي السعودي: مفهوم «الآخر» ما زال ملتبسا "،المنتدى الثقافي ، الخميس 28 محرم 1431 هـ 14 يناير 2010 العدد11370

http://www.aawsat.com\details.asp?section=19&article552700&issue no=11370

- http\\what-is-a-liberal-democracy.htmwww.wisegeek.com\

- http:// palto .stanford.edu\entries\liberalism\\liberalism

-"لماذا الليبرالية "دراسة بعنوان "الليبرالية التي نسعى لها "من كتاب "مفردات الثقافة السياسية "محمد قطب . ص2

الليبراليةhttp:\\hawariboumadianis20.maktoobbloy.com\1413954

-غبريال (كمال): "الليبرالية الجديدة وثنائية الشكل والمضمون.26 فبراير 2005".

http:\\www.ahewar.org\vedat\show.art.ahp?aiv=32472

-السلمي (عبد الرحيم بن صمايل): الليبرالية نشأتها وتطورها ومجالاتها. (1، 2)، 30/ 10/ 2002. http://www.hurraf.org\vb\show threaad.php?t=5536

- كامل ،د:عبد العزيز : دعاة البرلة ..عقول محتلة ... ام ولائات مختلة موقع صيد الفوائد

http:// www.saaid.net\ mktarat\almani\49.htm .

-"جان جاك روسو " نقلا من الانترنت من موقع :الشبكة الليبرالية السعودية، 2008\4\18

http://www.naresa.org\index.phpجان جاك روسو

Summary

Hala Sudqi Nasser

Liberalism And Other In John Rawls' Thought

Summary

The aim of this study is the informing the works of John Rawls and making use of his theory and the possibility of its applications; all this because his book (Theory in Justice) is very big book and has its place in the world of politics, and rights. In addition his book (Law of Nations) is another experiment, which he called for it as a theory.

At the end of this study we have the following results: -

Firstly: - all the criticism towards John Rawls in general and to John Rawls specifically is from his resistant in dogma and this is natural reaction (that a member in a dogma does not praise another person from other dogma).

The strict reflects the image of the medieval ages and the role of the men of church and their rejection for everything or any opinion out from the church because they feel in danger from any liberty (whatever it is ideological of behavioral)..

Secondly: - the theory of justice is equity for Rawls, it can be as follows: -

1- All people are free (Freedom) and they have the tight in the general form of basic liberties equally (equality)

2- There are many results from this wide range freedom big social and economical differences among people, but it should be arranged in the following form: -

A- It should be for the benefit of the most deprivation people, the victims of capitalism.

B- It should come from the equivalence of chances in jobs. Rawls has no objection in keeping the inequality with condition that the benefits must be for the most deprivation people.

Thirdly: - here should be a public harmony about the principles of liberalism, the principles of liberalism like (equality, freedom, social cooperation). Some people refuse the liberalism without a real vision for it and they mix the papers of liberalism and form images against liberalism and make these visions as excuses

against it. Because that first care in criticizing the liberalism in negative criticism without taking in consideration the positive aspects of liberalism, which has real bases, actual experience and the active role in many sides of life.

Fourth: - liberalism has great role in economy (the best proof is the western economy). Liberalism limited the country with many limits and made the country doing certain roles like keeping the economical security and the country do not monopolize economy and capitals; all this led to more freedom for people. Absolutely, there are many laws that give the right for each one by law because there is not power higher than law. All this raised the level of the western society.

fifth: - No one has the right to interfere in other person affairs unless he was impressed from his affairs and does not break laws. The laws that I think it dominate too much in separating religion from country; even it denied about everything that link religion with country. As if it suffers from psychological state because of its past "medieval age". So it tries to not connect in any type to what remind her with religion, which was the megaphone in which the men of church were blow in it all the time and they were pretending the purpose is for the country but it was not. People knew that but they can do nothing except tolerate calamities for to satisfy God.

sixth: It is clear from my previous explanations, I am defending liberalism in its details and not defending its immediate form in west (socially) but I am trying to make the picture clear for who wants to make use of the positives of the western experiment and to know its components and negative points that lead the western society to abyss. In order to make use of this experiment to raise our society by taking care in its progress and her economical and cultural prosperity; because we have the heritage and history. On the other hand, we have capital and the natural resources. If we understand the equation of the prosperity of the west, we may be the next in receive what they called it in the west (One Pole). Let's leave the attack of the western experiment by looking at its negative points and that makes us walking in closed circle without looking forward. The question is what are we?

When is the wakefulness, which I do not know what to call it and the naming may be embarrassing.

Let's move from the essence of the lesson to the essence of the studier. It is a step in the right way to take our right position in this world and to achieve useful debate with

the west. This leads us to words of Fu'ad Sadiq AlMufti about the role of the 'defender' and the 'reaction' towards each action from the others without any clear strategy to interact with these probable developments and effect it before it effect us or 'submission' to it negative results

seventh: - all what was said before about liberalism is in the same time about John Rawls. He was one of the greatest theorists in the political liberalism and his theory "Justice Theory" is one of the greatest knowledge treasures, which contain theory (group of ideas). This theory is useful for along time because it is rational and therefore it is applicable in different nations.

This is distinguished work and when we study it, we may receive the next stage in history.



University of Kufa

College of Arts

Department of philosophy

Liberalism And Other in John Rawls' Thought

Analysis Study

A Thesis Submitted to

the Council of the College of Arts-University of Kufa

By

Hala Sudqi Nasser AL-Saady

In partial Fulfillment of the Requirements for the M.A. Degree in Philosophy

Supervised By Dr.

Jamil H. N. AL-Malaa´

1432 A.H. 2011 A. D.